المجلس الأعلى للثقافة

المشروع القومي للترجمة

رواية

# إيزابيل

تأليف : أندريه جيد

ترجمة : حمادة إبراهيم

405

المشروع القومى للترجمة

# إيزابيل

( روايـــة )

تـأليـف : أندريه جيد

ترجمة : د . حمادة إبراهيم

المجلس الأعلى للثقافة

٢٠٠٢

المشروع القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٤٠٥
- إيزابيل ( رواية )
- أندريه جيد
- د . حمادة إبراهيم
- الطبعة الأولي ٢٠٠٢

ترجمة لمختارات من شعر جون دن
عن كتابه :

Seventeenth - Century Prose and Poetry

2 nd Edition

Selected and Edited By :

A . M . Witherspoon

F . J . Warnke

Harcourt , Brace & World, Inc.

---

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلي للثقافة

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo

**Tel** : 7352396 **Fax** : 7358084 **E. Mail** : asfour @ onebox. com

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلي تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها ، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس الأعلي للثقافة .

# تقديم

شاعر وروائى ومؤلف مسرحى وكاتب مقال، وواحد من أعظم مفكرى القرن العشرين، ولد فى باريس عام ١٨٦٩ ومات فيها عام ١٩٥١.

كان أبوه أستاذا للقانون، وأمه نورماندية بورجوازية وكلاهما من البروتسانت المتشددين، مات أبوه وهو لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره، فلم يضطر إلى طرق أبواب الرزق، إذ كانت أسرته على درجة عظيمة من الثراء، مما أتاح له فرصة القراءة والتأمل.

قام على تربيته نفر من النساء نخص منهن أمه، وكانت تشدد الرقابة عليه، فعاش الطفل فى جو من الكبت والتضييق الشديدين، الأمر الذى يفسر نزعة التمرد والثورة التى سنجدها فى كتاباته وبخاصة فيما يتعلق بالأسرة.

لقد بدت ملامح هذا التمرد مع باكورة أعمال "جيد" : "كراسات أندرية فالتير" التى كتبها فى الفترة بين العشرين والثامنة والعشرين من عمرة بتأثير تربيته المتزمنة، ونتيجة لاتصاله بكلٍ من "مالآرميه" ، "هويسمان" و "ماتريلينك".

وإذا كان "جيد" فى هذه الكراسات يعبر عن أماله فى وجود الأسرة المثالية، فإنه منذ ١٨٩١، أى منذ كتب "بحث نرسيس"، يؤرخ انحطاط

الرجل باليوم الذى فكر فيه أن يتخذ من المرأة رفيقا له، وظل "جيد" طوال حياته يمجد الحرية ويسعى إلى تحرير نفسه وتحرير الإنسان، ويرى أن على كل إنسان أن يكتشف ذاته بنفسه ويعمل على السمو بها عن طريق العمل الدائب المتواصل، وهذا ما نجد صداه فى المؤلفات التى كتبها فى شبابه مثل: "الأقوات الأرضية" ، "الشاذ" أو "الإباحى".

وبعد أن انقضت فترة الشباب، بدأ "جيد" يشعر بالصراع بين المغامرة وبين التعقل، بين المتعة الذاتية وبين التضحية والإيثار، فبعد "ميشيل" بطل "الشاذ" الذى لا يأبه لأى قيد يقدم لنا "أليسا" بطلة "الباب الضيق"، التى ترفض السعادة الدنيوية، وبعد "لافكاديو" الذى يهزأ بالقوانين والعرف، نرى بطل "السيمفونية الريفية"، رجل الدين الذى يكافح نزواته، ثم كتب "جيد" "المزورون" وهى تتضمن كل آرائه القديمة والمستقبلية.

وبعد ذلك تأتى مرحلة الاعترافات وتشمل: "لو أن البذرة لا تموت"، وهى مراسلات جيد مع "فاليرى" ، "كلوديل"، ثم "اليوميات" و "تيزيه"، وفى هذه الأعمال يسجل جيد ما يروقه.

وكان جيد والمجتمع الفرنسى على غير اتفاق، ولكن "جيد" حصل فى عام ١٩٤٧ على نصر عالمى عندما استحق جائزة نوبل.

وكان جيد منذ عام ١٨٨٩ قد شرع فى كتابة يومياته التى نشرها عام ١٩٣٩، وظل يضيف إليها حتى عام ١٩٤٧، وأصبحت هذه اليوميات ذات قيمة عظيمة فيما يتعلق بشخصية الكاتب ومؤلفاته وأحداث عصره.

فى أواخر حياة "جيد" بدأ الناس يتحدثون عنه بنوع من التعظيم والتبجيل انعكس على الكاتب الكبير سلبا، فملأه الغرور الذى يصيب كثيرين من الكتاب والفلاسفة حينما يرفضون كل غيب دينى وأية قاعدة لا تفرزها عقولهم. نلمس صدى ذلك فى هذه العبارات على لسان "تيزيه" أحد أبطاله معبرا عن خلاصة تجارب جيد فى حياته الطويلة:

"لقد أقمت مدينتى، ومن بعدى، سيسكنها فكرى مخلدا إلى الأبد، وأنا أشعر بالرضا لأنى أطرق باب الموت وحيدا، فقد تمتعت بخيرات الأرض، ويطيب لى أن أتصور أن الناس، من بعدى، وبفضلى، سيكونون أسعد حالا، وأفضل وضعا، وأكثر حرية، ومن أجل خير الأجيال البشرية القادمة، قمت بعملى. لقد عشت حياتى".

أما عن "إيزابيل" فهى من أكثر كتابات "جيد" اعتدالا، فإذا كان "جيد" يهاجم التزمت البغيض عند رجل الدين والرقابة الشديدة التى فرضها الوالدان على الفتاة، فإنه لا يؤيد إيزابيل فى إسرافها فى الانطلاق والتحرر من كل قيد.

د. حمادة إبراهيم

# شخصيات الرواية

| | |
|---|---|
| جـــيـــرار لاكـــاز | Gerad Lacase |
| السيد/ بنيامين فلوش | Benjamin Floche |
| مـــــــــدام فـلـوش | Mme Floche |
| ســـــانت – أوريـول | Saint- Aureol |
| مـدام دسـانت أوريول | Mme de Saint-Aureol |
| القس ســـانتـــال | L'Abbé Sanyal |
| إيــــزابـــيــــل | Isabelle |
| كـــــازيمـيـــــر | Casimir |
| الآنســـة فـــيـــردور | Mlle Verdure |
| جـــراســـيـــان | Gratien |

قام "جيراز لاكاز"، الذى تلاقينا عنده فى شهر أغسطس عام ١٨٩١، باصطحابى أنا و "فرنيس جام" فى زيارة لقصر "الكارفورش" الذى سرعان ما اندثرت آثاره ولم يبق منه سوى أطلال خربة وحديقة واسعة مهملة، كان الصيف المتبهرج يصول فى أرجائها ويجول، ولم يعد هناك ما يحمى مدخل القصر، فالخندق أصبح مردوما إلى نصفه، والسياج المحيط به تحطم، والباب الحديدى لم يعد مكينا، فانحرف مستسلما لأول دفعة من كتف أحدنا، كذلك لم تعد هناك ممرات، فقد جاوزت الأرض الخضراء حدودها، فكنت ترى بعض الأبقار طليقة ترعى الكلأ الغزير، بينما كانت بعض الأبقار الأخرى تنشد مكانا رطبا وسط الأدغال المترامية، وكان الناظر لا يكاد يميز، هنا وهناك، بين هذا الفيض البرى، زهرة شاذة أو أوراق شجرة غريبة تختلف عن النباتات القديمة، وبقيت صابرة تكاد تخنقها أنواع النباتات الشائعة.

كنا نسير فى أثر "جيرار" دون أن ننطق بكلمة، فقد كنا مبهورين بروعة المكان والفصل والساعة، وكنا نشعر بكل ما ينطوى عليه ذلك الرخاء من حزن وهجران، وبلغنا سلم القصر، وكانت درجاته الأولى غارقة فى الأعشاب، أما درجاته العليا فقد كانت محطمة ومنفصلة بعضها عن البعض الآخر، ولكننا ما أن وصلنا أمام أبواب حجرة الاستقبال، التى كانت تستخدم نوافذ فى الوقت نفسه، حتى اعترضت طريقنا مصاريعها المنيعة، ولم نستطع أن ندخل القصر إلا من فتحة

القبو، تسللنا خلالها كما يفعل اللصوص، وكان ثمة سلم يفضى إلى المطابخ، فلم نجد بابًا واحداً من الأبواب الداخلية مغلقا.. وتقدمنا متنقلين من حجرة إلى حجرة فى حذر؛ لأن الأرضية كانت تميد تحتنا كأنما تِوشك أن تنهار، وكنا نكتم صوت خطواتنا، ليس خشية أن يكون هناك من يسمعنا، وإنما لأن الصدى الذى أحدثه وجودنا فى ذلك القصر الخالى الذى كان يكتنفه السكون المطبق كان يدوى بلا تحفظ ولا مراعاة، ويكاد يفزعنا، وكانت نوافذ الطابق الأرضى تخلو من ألواح كثيرة.

وفى شبه الظلام الذى كان يكتنف حجرة الطعام، كانت هناك أعشاب البينيونيا ترسل من خلال مصراعى النافذة سيقاناً ضخمة لينة بيضاء اللون.

كان "جيرار" قد تركنا، فظننا أنه آثر أن يرى وحده مرة أخرى هذه الدار التى عرف أصحابها، فواصلنا زيارتنا بدونه، وربما كان قد سبقنا إلى الطابق الأول مجتازا تلك الحجرات الجرداء التى كانت تخيم عليها الكآبة، وكان يوجد فى إحدى تلك الحجرات غصن من البقس لايزال يتدلى على الجدار يقيده إلى إيزيم شريط حريرى ذوى لونه، ولاح لى أنه يتأرجح عند طرفى رباطه فى ضعف فأيقنت أن "جيرار" قد انتزع منه غصناً صغيراً عند عبوره قبل قليل.

ولقيناه فى الطابق الثانى قريبا من نافذة أحد الممرات، وكانت هذه النافذة قد نزع عنها زجاجها وكانوا قد أنفذوا منها إلى الداخل حبلاً

كان يتدلى من الخارج، وكان هذا الحبل لأحد الأجراس، ولقد هممت بجذبه فى هوادة، عندما شعرت بذراع "جيرار" تقبض على ذراعى، وبدل أن توقف حركتى زادات من مداها .

وعلى حين فجأة، دوى صوت محبوس، قريب منا وشديد، بحيث إنه جعلنا ننتفض فزعين، وبعد ذلك، وعندما عاد السكون إلى الإطباق، سمعنا دقتين متباعدتين لم يلبث أن غاب صداهما .

والتفتّ ناحية "جيرار" فرأيت شفتيه ترتعدان، وقال:

- هيا ننصرف، فإنى فى حاجة إلى استنشاق هواءآخر.

وما أن أصبحنا فى الخارج، حتى اعتذر عن اصطحابنا بحجة أنه يعرف شخصًا فى الأحياء المجاورة ويريد أن يستفسر عن أحواله، ولما فهمنا من لهجته أنه ليس من اللائق أن نصحبه، عدت أنا و "جام" إلى "الر..." حيث لحق بنا "جيرار" فى المساء.

وبعد قليل، قال له "جام":

- صديقى العزيز، أعلم أننى قررت ألا أروى أية قصة قبل أن تطلعنا على هذه القصة التى نراها تملك عليك فؤادك- وللعلم فقد كانت قصص "جام" مبعث المتعة فى سهراتنا .

فبدأ "جيرار" قائلا:

- يسعدنى أن أروى لكم القصة التى كانت هذه الدار التى قمنا بزيارتها قبل قليل، مسرحًا لها، ولكنى بالإضافة إلى أننى لا أستطيع أن

أعرضها أو أن أستعيدها كاملة غير منقوصة، فإننى كذلك أخشى ألا أتمكن من ذلك فى نظام وتسلسل، دون أن أسلب كل واقعة منها ذلك السحر الذى يغلف الألغاز والذى كان فضولى فيما مضى يخلعه عليها.

فعقب "جام" قائلا:

– لا تبال بنظام أو تسلسل.

وقلت أنا.

– ما الداعى إلى رواية الوقائع طبقا لتسلسلها التاريخى؟ وما المانع فى أن تعرضها كما عرضت لك؟

فقال "جيرار":

– إذن تتيحان لى أن أتحدث عن نفسى كثيرا.

فرد "جام" على الفور قائلا:

– لا أحد منا يفعل غير ذلك.

وإليكم القصة التى رواها جيرار:

# ١

يكان أن يكون من العسير اليوم أن أدرك الـلهفة التى كانت تدفعنى إلى الحياة فى ذلك الوقت، فـقد كنت فى الخامسة والعـشرين لا أكاد أدرى من الحياة شيئًا إلا عن طريق الكتب، ولعل هذا هو السبب الذى من أجله كنت أظن نفسى روائيـًا، فقـد كانت لا أزال أجهل كيف أن الأحداث تحجب عن عيـوننا، فى دهاء وخبث، ذلك الجانب الذى قد يزيد اهتمامنا بها، وكيف أنها تـستغلق وتمتنع أمام من لا يعرف كيف يفتحهما.

كنت فى ذكل الوقت أعـد للدكـتـوراه رسـالة عن تاريخ مـواعظ "بوسويه"(١) ولم يكن ذلك عن ميل خاص يجذبنى إلى بلاغة المنابر، وإنما وقع اختـيـارى على هذا الموضع تكريمًا لأستـاذى الكهل "ألبـير دينوس" الذى كان كتابه العظيم "حياة بوسويه" وشيك الصدور، وما أن علم الأسـتاذ "دينوس" بموضـوع دراسـتى حتى أبدى اسـتعـداده لمعاونتى فى معـالجته وتناوله، وكان من أقدم أصـدقائه شخص يدعى "بنيامين فلوش"، كان عضوا فى مجمع الخطوط والآداب.

(١) أسـقف وخـطيب وكـاتب فـرنسـى (١٦٢٧ - ١٧٠٤) أصـبح فى عـام ١٦٨١ مـطرانا لمدينة "مو"، ومن هنا جاء لقبه "نسر مو" كما سيرد فى هذا الكتاب. (المترجم).

وكـان هذا الصديق يملك مـن الوثائق ما قـد يفـيدنى فى بحـثى، وبخاصـة نسخة من التـوراة فيـها شروح وحـواش بخط "بوسويه"، وكان السيد "فلوش" قـد اعتزل الحياة منذ ما يقرب من خمـسة عشر عاما، واعتكف في قصر "الكارفورش" الذى كان الناس يطلقون عليه فى أغلب الأحيان "كارفـور"، وهو من ممتلكات الأسرة فى ضواحى "بون ليفيك" ولم يعـد السيد "فلوش" يبرح قـصره هذا، وكان من دواعي سـروره أن يستـقبـلنى فيـه وأن يضع تحت تصـرفى مسـتنداته ومكتبته وعلمه الغـزير الذى قال لى عنه الأستاذ "دينوس" إنه علم لا ينضب له معين.

وبدأ السيد "دينوس" والسيد "فلوش" يتبادلان الرسائل، وتبين أن الوثائق كانت أكثر مما توقعت فى بادئ الأمر بناء على تقدير أستاذى، ولم يعـد الموضـوع مجـرد زيارة، وإنما تحـول إلى إقـامة فـى قصـر "الكارفوش" تلطف السيـد "فلوش" فعرضها عـلىّ بناء على توصية من السيد"دينوس"، ومع أن السيـد "فلوش" وزوجته كانا بلا ولد، فقد كانا لا يعيشان فى القصر بمفردها.

إن بعض الكلمات التى صدرت عفوا عن السيد "فلوش" وتولاها خيالى، جـعلتنى أتوقع أن أجد فى القصر صـحبة جميلة سـرعان ما اجتـذبتنى أكثر من وثائق القرن السـابع عشر الجليل المعـفرة بالأتربة، وإذا بى أجدنى أدخل القصر لاطالبا للعلم وإنما للمغامرة.

وإذا بى أملؤه بالمغامرات قبل أن أدخله. "الكارفورش"! كنت أردد هذا الاسم الغامض وأحدث نفسى قائلا: ها هنا يتردد هرقل.. إننى

كذلك أعرف ما ينتظره على درب الهدى والفضيلة، ولكن، الطريق الآخر؟... الطريق الآخر..؟

وفى منتصف سبتمبر تقريبا، جمعت أحسن ما كان فى صوان ملابسى من ثياب متواضعة، وجددت ما كان لدى من أربطة العنق، ثم رحلت.

وعندما بلغت محطة "بروى - بلانجى" بين "بون ليفيك" و"ليزيو"، كان الليل قد أسدل كل أستاره تقريبا، وكنت الوحيد الذى أنزل من القطار، وأقبل قروى يرتدى زى الخدم، فأخذ حقيبتى وصحبنى إلى العربة التى كانت تقف فى الجانب الآخر من المحطة، فإذا بمنظر الجواد والعربة يوقف من اندفاع خيالى وانطلاقه، فلا يمكن للإنسان أن يتصور منظرا أكثر منه بشاعة وقبحا، وعاد القروى الحوذى ليخلص صندوق الأمتعة الذى كنت قد شحنته، وتحت هذا الثقل زاءت زنابك العجلات، ومن داخل العربة انتشرت رائحة خانقة أشبه بتلك التى تفوح من مرقد الدجاج... وأردت أن أنزل زجاج الباب، إلا أن مقبضه الجلدى نُزع فى يدى، وكان السماء قد أمطرت أثناء النهار، فكان الطريق موحلا، وعند أول منحدر سقطت قطعة من طاقم الجواد، فأخرج الحوذى من تحت مقعده طرفا من حبل، وتهيأ لإصلاح مجرة العجلة، وكنت قد نزلت من العربة، فعرضت على الحوذى أن أمسك له المصباح الذى كان قد أشعله منذ قليل، وعندئذ استطعت أن أرى أن زى الرجل المسكين، كما هى حال طاقم الجواد، قد أعيد رتقه أكثر من مرة، فقلت عفوا:

- إن الجلد قديم بعض الشيء.

فرمقني بنظرة وكأنني شتمته، وقال بلهجة تكاد تكون فظة:

- لعمري، ومع كلٍ فمن حسن حظك أن تمكنا من المجيء للقائك.

فسألته بأرق صوت نطقت به:

- هل المسافة بعيدة من هنا حتى القصر؟

ولم يجب برد مباشر، بل قال:

- من المؤكد أننا لا نقطع هذه المسافة كل يوم.

ثم أردف بعد لحظة:

- ها قد مضت ستة أشهر تقريبا ولم تخرج العربة.

فعقبت في محاولة يائسة لفتح باب المناقشة:

- أولا يتنزه سادتك؟

- لعلك تظن أنه ليس لدينا من عمل سوى ذلك!

كان قد انتهى من إصلاح العطب، فدعاني بإشارة إلى الصعود مرة أخرى، وعندئذ انطلقت بنا العربة من جديد.

كان الجواد يجتهد في ارتقاء المرتفعات، ويتعثر ويكبو في المنحدرات ويعدو في السهل عدوا مخيفا، وفي بعض الأحيان كان يتوقف على حين بغتة، وحدثت نفسي قائلاً: "على هذا النحو الذي نسير عليه، سنصل إلى "الكارفور" بعد أن يكون أهل الدار قد فرغوا

من تناول طعامهم قبل وقت طويل، بل (الجواد يتوقف مرة أخرى) وحتى بعد أن يكونوا قد ناموا" . كنت أشعر بجوع شديد، فبدأ مزاجى ينحرف، وحاولت أن أشاهد البلدة، وإذا بالعربة، ودون أن ألاحظ، قد انحرفت عن الطريق الرئيسى وسلكت طريقا آخر أضيق وأقل تمهدًا بكثير، ولم تكن مصابيح العربة تضيء عن يميننا وشمالنا إلا سياجا متصلا، كثيفا مرتفعا، كان يبدو أنه يحاصرنا ويسد علينا السبيل، يفسح لنا الطريق فى لحظة مرورنا، ثم لا يلبث أن يطبق من جديد بعد عبورنا.

وما أن بلغت العربة ربوة وعرة الارتقاء، حتى توقفت من جديد، وأتى الحوذى إلى الباب ففتحه ثم قال بكل بساطة:

- هل يتكرم سيدى بالنزول؟ إن المطلع وعر بعض الشيء على الجواد.

وصعد بنفسه المطلع ممسكا بزمام الجواد، وفى منتصف المسافة، التفت نحوى، وكنت أسير وراءه، وقال لى بنبرة رقيقة:

- لقد وصلنا بسرعة، انظر، ها هى الحديقة.

واستطعت أن أميز أمامنا دغلا كثيفا من الأشجار، كان يمثل طريقا تحفُّه أشجار الزان الضخمة، سرعان ما خضنا فيهو فالتقينا بالطريق الأول الذى كنا قد انحرفنا عنه، ودعانى الحوذى إلى الصعود إلى العربة مرة أخرى وسرعان ما بلغنا الباب الحديدى، فتسللنا إلى الحديقة.

كان الليل من السـواد بحيث لم أستطع أن أميـز شيئا مـن واجهة القصر، وأوصلتنى العربة أمام سُلم يتألف من ثلاث درجات فارتقيتها مبـهورا من ضوء المشـعل الذى كانت تحمله فى يدهـا وتسلطه نحوى امرأة خالية من معالم الحسن وملامح الجـمال، سمينة الجسم متواضعة الزى، وحيتنى تحية يشوبها الجفاء، فانحنيت لها، وقلت مترددا:

- مدام "فلوش" طبعا؟

- بل الآنسة "فيردور". إن السيد "فلوش" وزوجته نائمان، وهما يعتذران عن عدم حضورهما لاستقبالك، فالناس هنا يتناولون عشاءهم فى وقت مبكر.

- وأنت يا آنستى، لقد جعلتك تسهرين حتى ساعة متأخرة.

فقالت دون أن تلتفت:

- أوه! أما أنا، فقد اعتدت ذلك.

كانت قد سبقتنى إلى الدهليز فأردفت قائلة:

- أظنك لا تمانع فى تناول شيء ما؟

- الحق أقول، إننى لم أتناول عشائى.

فأدخلتنى حجرة طعام فسيحة قد أعدت فيها وجبة عشاء دسمة من تلكم الوجبات التى تعقب الصوم.

- إن الفـرن مطفـأ فى هذه السـاعة، وفى الـريف يجب أن يقنع الإنسان بما يجده.

فقلت وأنا جالس إلى المائدة أمام صحن من اللحم البارد:

- ولكننى أجد كل هذا عظيما.

وجلست منحرفة على كرسى بالقرب من الباب، وطوال تناولى الطعام، ظلت خافضة الطرف، وحاولت عدة مرات، كلما انقطع حبل الحديث، أن أعتذر لها عن استبقائها إلى جوارى، ولكنها جعلتنى أدرك أنها تنتظر حتى أفرغ من عشائى لترفع المائدة.

- وحجرتك، لو انصرفت أنا، كيف ستعرفها بمفردك؟

فتعجلت أمرى، وضاعفت من حجم اللقمة، وإذا بباب الدهليز ينفتح، ويدخل منه قس أشيب الشعر، صارم الوجه لكنه لطيف، فأقبل نحوى وهو يبسط يده قائلا:

لم أشأ أن أرجىء إلى الغد الاستمتاع بتحية ضيفنا، ولم أنزل إليك قبل الآن لأننى كنت أعلم أنك تتبادل الحديث مع الآنسة "أوليمب فيردور".

قالها وهو يوجه إليها ابتسامة خبيثة، بينما كانت هى تزم على شفتيها وتبدى سحنة من خشب، واستطرد يقول بينما كنت أغادر المائدة:

- أما الآن وقد انتهيت من طعامك، فستترك الآنسة أوليمب هنا تعيد النظام إلى المكان، وأعتقد أنها ترى من الأليق أن توكل إلى رجل أمر اصطحاب السيد "لاكاز" إلى حجرة نومه، وأن تتنازل عن مهام وظيفتها فى هذا الصدد.

وانحنى أمامها متكلفًا الاحترام، فحيته بطريقة مقتضبة:

- أوه! إننى أتنازل لك. . . يا سيدى القس، كما تعلم أتنازل دائمًا. . .

ثم استطردت وعادت إلينا فجأة:

- كنت ستنسينى أن أسأل سيدى "لاكاز" عما يتناوله فى فطوره.

- ما تشائين يا آنستى. . ماذا تتناولون هنا فى العادة؟

- كل شىء. أعد الشاى للسيدات، والقهوة للسيد "فلوش" والحساء لسيدى القس، والراكية[1] للسيد كازيمير.

- وأنت يا آنستى، ألا تتناولين شيئًا؟

- أوه، أما أنا، فإننى أتناول القهوة باللبن وحسب.

- لو سمحت، سأتناول معك قهوة باللبن.

فقال القس وهو يمسكنى من ذراعى:

- إيه! إيه! خذى حذرك يا آنسة "فيردور"، يبدو لى أن السيد "لاكاز" يغازلك! فهزت كتفيها، ثم حيتنى تحية سريعة، بينما القس يسحبنى معه.

كانت حجرتى تقع فى الطابق الأول فى نهاية الدهليز.

وقال القس وهو يفتح باب حجرة فسيحة تضيئها جمرة كبيرة تتقد فى مدفأة:

(١) كلمة مأخوذة عن العربية، وهى مشروب يتألف من السحلب والكاكاو ومسحوق البطاطس والأرز والسكر والفانيليا. (المترجم).

– عفوك اللهم! لقد أوقدوا لك نارا. . . ربما كنت فى غنى عنها. . . صحيح أن الليل فى هذه البلدة يكون رطبا، وفصل الشتاء هذا العام مطير بطريقة غير عادية.

كان قد اقترب من المدفأة فبسط لها راحتيه العريضتين محولا وجهه عنها. . . . وكأنه عابد ورع يدفع عن نفسه محاولات الإغراء، وكان استعداده للحديث يبدو لى أكثر من استعداده لتركى لكى أنام.

فبدأ حديثه قائلا وقد رأى صندوقى وحقيبتى:

– آه، لقد أحضر لك "جراسيان" أمتعتك.

فسألته قائلا:

– أهو جراسيان، ذلك الحوذى الذى صحبنى؟

– وهو أيضًا البستانى، لأن أعماله كحوذى قلما تشغل وقته.

– لقد أخبرنى بالفعل أن العربة لا تخرج كثيرا.

– إن خروجها يعتبر حدثا تاريخيا، ثم إن السيد "سانت – أوريول" لم يعد يملك جيادا منذ زمن بعيد، ولذلك ففى المناسبات الكبرى، مثل الليلة، نستعير جواد المزارع.

فرددت مندهشا:

– السيد سانت – أوريول؟

– أجل، أنا أعرف أنك جئت للقاء السيد "فلوش"، ولكن قصر

الكارفورش ملك لشقيق زوجته، وغدا ستتشرف بمعرفة السيد سانت - أوريول وزوجته.

- ومن يكون السيد "كازيمير" الذى لا أعرف عنه سوى أنه يتناول الراكية فى الصباح؟

- إنه حفيدهما وتلميذى. لقد شاء الله أن أقوم بتعليمه منذ ثلاث سنوات.

قال ذلك وهو يغمض عينيه فى خشوع، كأن الأمر يتعلق بأمير من أصل نبيل.

فسألته قائلا:

- أليس أبواه هنا؟

- بل على سفر.

وضغط على شفتيه بشدة ثم استطرد فى الحال:

- أنا أعرف، ياسيدى، أية دراسات نبيلة مقدسة جاءت بك...

فقاطعته فى الحال:

- أوه! لا تبالغ فى قدسيتها، إنها لا تهمنى إلا من وجهة نظر المؤرخ.

فقال وهو يصرف بيده كل فكرة بغيضة:

- لا يهم، إن للتاريخ أيضًا حقوقه، وستجد فى السيد "فلوش" ألطف مرشد وأوثق دليل.

- هذا ما أكده لى السيد "دينوس".

- آه أو أنت تلميذ "ألبير دينوس" ؟

وضغط على شفتيه من جديد. وتجرأت ووجهت إليه هذا السؤال:

- هل درست على يديه؟

فرد فى جفاء:

- كلا!! إن ما أعرفه عنه جعلنى ألزم الحيطة... إنه مغامر فكرى. وفى مثل سنك، ينجذب المرء فى سهولة لما يشذ عن المألوف.

ولما لم أجب بشىء، قال:

- لقد كان لنظرياته بعض التأثير على الشبان، ولكن الناس بدءوا يفيقون منها، على ما بلغنى.

كانت رغبتى فى الجدال أقل من رغبتى فى النعاس، ولما وجد أنه لن يحصل منى على إجابة، أردف قائلا:

- سيكو السيد "فلوش" خير ناصح لك.

ثم قال على أثر تثاؤب لم أملك دفعه:

- الوقت متأخر. غدا لو أردت، يمكننا أن نجد وقتا كافيا لاستئناف الحديث، فلابد أنك مرهق بعد هذا السفر.

- الحق ياسيدى القس، أن النعاس يهدنى.

ومـا أن غادر الحـجرة، حـتى رفعت الحطب من المدفـأة وفتـحت النافذة على سعتـها دافعا مصراعيـها الخشبيين، فإذا بهبة ريح خـفيفة تراقص شمـعتى، فأطفأتهـا لكى أتامل الليل. كانت حجـرتى تفضى إلى الحديقة ولكنها لا تطل على واجهة القصر شأن حجرات الممر التى لابد أنها تتمـتع بمنظر يمتد فيه مـدى البصر أطول وأبعد، فسـرعان ما أوقف نظرتى مجـموعة من الأشجـار لا يكاد يظهر فوقهـا إلا جانب ضئيل من صـفحة السمـاء كان الهلال قد لاح فيـها منذ قليل، ثم لم يلبث أن غاب تحت الغـمام، وكانـت السماء قـد أمطرت من جديد، لذلك فقد كانت الأغصان لاتزال تقطر ماء.

وحدثت نفسى وأنا أعيد غلق النوافذ:

- هذا الجو لا يدعو إلى البهجة.

وأمام هذا التأمل الخاطف، سرت الرعـدة فى نفسى أكثر مما سرت فى جسدى، فأعدت الحطب إلى المدفأة وأزكيت النار، وسعدت عندما عثرت فى فراشى على جرة ماء دافئ، لاشك أن الآنسة "فيردور" قد دستها فيه بحسن رعايتها.

وبعد لحظة، لاحظت أننى نسيت أن أضع حـذائى خارج الحجرة، فنهضت وخرجت برهة إلى الممـر، فرأيت فى الطرف الآخر من الدار الآنسة فيـردور، وكانت حجرتها تقع فوق حـجرتى، تبينت ذلك من خطواتها الثـقيلة التى شرعت بعد قليل تزلزل السـقف من فوقى، ثم أطبق صـمت عميق، وبيـنما كنت أستغرق فى النوم، رفـعت الدار مرساتها لتجتاز رحلة الليل البحرية.

# ٢

استيقظت من نومى مبكرا على صوت ضوضاء صادرة من المطبخ، وكان أحد أبوابه يفتح تحت نافذتى مباشرة، وعندما دفعت مصراعى النافذة، سعدت بمشاهدة سماء تكاد تكون صافية، أما الحديقة - ولم تكن قد جفت تماما من آثار وابل مطر حديث - فقد كانت تتلألأ وكان الجو يميل إلى الزرقة، وعندما كنت أهم بإغلاق النافذة، إذا بى أرى طفلا ضخما يخرج من بستان الخضراوات ويهرول إلى المطبخ، كان من العسير تحديد سنه، لأن وجهه كان يبدو أكبر من جسمه بثلاث سنوات أو أربع، وكان مشوها، به عوج، وكانت ساقاه الملتويتان تجعل مشيته غريبة، فكان يتقدم بانحراف، أو بالأحرى يسير قفزًا كأنما لو سار خطوة خطوة فلابد أن تلتوى ساقاه . . . كان هذا طبعا " كازيمير " تلميذ القس، وكان يلازمه كلب ضخم، يثب معه، ويحتفل به، وكان الصبى يحاول أن يحمى نفسه من مغبة هوسة الكلب المربكة، ولكنه ما أن كاد يبلغ المطبخ حتى قلبه الكلب رأسا على عقب، وإذا به يهوى فى الوحل، فهبت إليه سيدة بدينة وقامت بإنهاضه وهى تقول :

- آه، عـال ! هل يرضى الله عن هذا الذى تصنعـه بنفـسك !! ومع ذلك فقـد نصحناك مراراً بتـرك " ترنو " فى محط العـربة . . هيا ! تعال من هنا لكى أنظفك .

وسحـبته إلى المطـبخ، وفى هذه اللحظة سمعـت طرقا على باب حجرتى، وإذا بخادمة تحمل إلى مـاء ساخنا لزوم الاغتسال،وبعد ربع ساعـة رن الجرس معلنا عن الفطـور، وعندما دخلت حجـرة الطعام، قال القس وهو يتقد للقائى :

- مدام " فلوش " ، أعتقد أن ضيفنا اللطيف قد وصل .

كانت مدام فلوش قد نهضت من مقعدها، ولكنها - وهى واقفة - لم تكن تبدو أطول منها وهى جالسة، فانحنيت أمامها بشدة، فحيتنى بغطسة خـاطفة، فلابد أنهـا فى فترة من فتـرات حياتهـا تلقت ضربة فظيعة فوق رأسها، فظل رأسها غائرا بـين كتفيها بطريقة لا سبيل إلى عـلاجهـا، وكان السـيد "فلوش" قـد وقف إلى جـوارها باسطا يده ترحيبا بى . كان العجوزان متماثلين فى الطول والملبس والسن واللحم . . ومكثنا عدة لحظات نتبادل التحيات والمجاملات المتشابهة ونتحدث ثلاثتنا فى وقت واحـد، ثم سـاد صـمت مهـيب، ووصلت الآنسـة "فيردور" تحمل إبريق الشاى .

وأخيـراً قالت مـدام " فلوش " التى لم تستطع أن تدير رأسـها، فتوجهت إلينا بكل نصفها العلوى :

– إن صديقتنا الآنسة أوليمب كـانت تتحرق لتعرف هل هنئت فى نومك وهل أراحك الفراش .

فأجبت بأننى نمت كأهنأ ما يكون النوم، وأن جرة الماء الدافىء التى وجدتها فى الفراش عند رقادى أفادتنى أعظم الفائدة.

وخرجت الآنسة "فيردور" بعد أن قدمت لى التحية .

– وفى الصباح، ألم تزعجك ضوضاء المطبخ؟

فكررت النفى : فقالت مدام "فلوش" :

– يجب أن تقدم شكواك، أرجـوك، لأنه ما من أمـر أسهل علينا من أن نعد لك حجرة أخرى . . .

ودون أن ينبس السيد "فلوش" بكلمة، كـان يهز رأسه بانحراف، ويؤيد بابتسامة كل عبارة تتفوه بها زوجته .

فقلت :

– إننى أرى جيداً أن الدار رحـبة، ولكننى أؤكد لكم أننى لا يمكن أن أصادف مقاما خيِّرا من مقامى هنا .

فقال القس :

– إن السيد "فلوش" وزوجته يحبان تدليل ضيفهما .

وجاءت الآنسة " أوليـمب" بصحن خبز مـقدد، فدفعت أمـامها ذلك المخلوق الذى كنت قد رأيته ينقلب على عقـبيه قبل قليل وجذبه القس من ذراعه قائلا :

- هيا يا "كازيمير" ! إنك لم تعد طفلا وليـدا، تقدم لتحية السيد "لاكاز" كمـا يفعل الرجال . . أبسط يدك وانظر أمـامك ! ثم التفت القس نحوى، وقال كأنه ينتحل له العذر :

- إننا لم نألف بعد عادات المجتمع . .

كـان حيـاء الطفل يحرجنـى، فسـألت مدام "فلوش" مـتجـاهلا المعلومات التى أمدنى بها القس مساء أمس :

- أهو حفيدك ؟

فأجابت قائلة :

- إنـه حفيد شـقيقتـى، وسـترى فيمـا بعـد شقـيقـتى وزوجها، أى جدّيه.

وحاولت الآنسة "فيردور" أن تفسر موقف الطفل، فقالت :

- لم يكن يجرؤ على العودة لأنه كـان قد لوث ثيابه بالوحل وهو يلعب مع "تيرنو" .

فقلت وأنا ألتفت نحو "كازيمير" فى بشاشة وملاطفة .

- مـا ألطفـه من لعب، لقـد كنت أنظر من النافـذة عندمـا قلبك الكلب . . ألم يصبك بسوء ؟ فقال القس بدوره موضحا :

- يـجب أن نخـبـر السيـد "لاكـاز" أن الطفل لا يجيـد الاتزان كثيرًا . .

سبحـان الله، لقد لاحظت ذلك بنفسى دون حاجـة إلى توضيح،

وعلى حين بغتة، إذا بهذا القس الضخم، وكانت عيناه من لونين مختلفين، قد أصبح ثقيلا بغيضا على نفسى.

لم يجبنى الطفل على سؤالى، إلا أن وجهه أحمر خجلا، فندمت على سؤالى، فربما وجد فيه تلميحا إلى عاهته، وكان القس قد غادر المائدة بعد أن فرغ من تناول حسائه، وجعل يذرع الحجرة ذهابا وإيابا، وكان عندما يمسك عن الكلام، يضغط على شفتيه بحيث تكون شفته العليا نتوءا أشبه بشفة الكهل الأردم، ثم توقف خلف "كازيمير"، وبينما كان الأخير يفرغ قدحه، قال القس :

- هيا ! هيا أيها الشاب، إن "ابن زهير" فى انتظارنا، فنهض الغلام، وخرج الاثنان.

وما أن انتهى الإفطار، حتى بادرنى السيد "فلوش" وهو يقول :

- تعال معى إلى الحديقة، أيها الضيف الشاب، وزدنى من أخبار باريس المفكرة.

كانت لغة السيد "فلوش" تزدهر مع الفجر، ودون أن ينصت كثيرا إلى إجاباتى، جعل يسألنى عن صديقه "جاستون" وعن دراساتى . . وبالطبع لم أحدثه إلا عن مشروعاتى الأدبية، ولم أكشف له من نفسى إلا عن الجانب الخاص بالسوربون، ثم شرع يقص تاريخ "الكارفورش" الذى لم يبرحه تقريبا منذ خمسة عشر عاما، وتاريخ الحديقة، وتاريخ القصر وأرجأ إلى حين تاريخ الأسرة التى كانت تسكن القصر قبله، لكنه بدأ يروى لى كيف حصل على مخطوطات

القرن الثـامن عشر التى يمكن أن تهـمنى فى بحثى . . كان يسـير إلى جوارى فى خطى قصـيرة مسرعة وثنايـا عديدة، ولاحظت أن سرواله كان منخفضـا بحيث إنه كان من الأمام يسقط على مقدمـة قدمه، أما من الخلف، فـقـد كان مـرفـوعا إلى أعلـى الحذاء، ولا أدرى كـيف استطاع أن يحافظ عليه فى هذا الوضع، ولم أعد أنصت إليه إلا بأُذُن شاردة، فقد كـان تفكيرى خاملا من أثر ميوعة الجـو الفاتر وبفعل ماً يشبه التخدير النباتى، وبينما كنا نسير على تلك الحال فى طريق تحف به أشجار الكستناء العالية التـى كانت تشكل قبوا فوق رؤسنا، شارفنا نهاية الحـديقة، وهناك، وجدنـا مقعدا يـحميـه من الشمس دغل من الأشـجار الظليلـة، فدعـانى السيـد "فلوش" إلى الجلوس، ثم قـال فجأة:

- هل أخبرك القس "سانتال" بأن صهرى به شيء من الـ . .؟

ولم يكمل، ولكنه لمس جبهته بسبابته.

ولقد بلغ ذهولى حدًا لم أجد معه ما أجيب به ، فأردف قائلا:

- نعم، البـارون "سانت - أوريول"، صـهرى، ربما لم يخـبرك القس بذلك كمـا لم يخبرنى أنا أيضا . . ولكننى أصـبحت على علم بأنه يعتقد ذلك، كما أعتـقده أنا أيضا . . . وبالنسبة لى، ألم يخبرك القس بأن بى شيئا من الـ . .؟

- أوه ! سيدى فلوش، كيف تظن أن . .

فقال وهو يربت يدى بلا كلفة:

- ولكن، يا صـديقى الشاب، لو صح ظنى، فـإننى أجـده شيـئا طبيعـيا، ماذا تنتظر؟ لقد اعتدنا هـنا أن نعزل عن العالم، نكاد نكون بمنأى عما يجرى فيه . لاشىء يحمل إلينا الـ . . التغيير، كيف أعبر ؟ نعم . لقد كنت لطيفا إذ جئت لزيارتنا.

ولما حاولت أن آتى بحركة، عاد فقال :

- إننى أعيدها ثانيـة : كنت لطيفا إذ جئت، وسأقـولها هذا المساء لصـديقى العظيم "ديـنوس" ، وقد يـتراءى لـك أن تطلعنى على مـا يجيش بصدرك من موضوعـات، وما يضطرب له فكرك من مسائل ، وما يسـتحوذ على اهتـمامك من مشكلات. . إننى عـلى ثقة أننى لن أدرك مما ستقول شيئا .

بماذا كنت أسـتطيع أن أجـيب ؟ فـرحت أخط فى الرمـال بطرف عصاى، فأردف يقول:

- وكـما تـرى، فقـد فـقـدنا اتصالـنا بالعالـم الخارجى تقـريبـا كلا، .كلا، لا تعترض، فلن يجدى ذلك شيئا. إن البارون أصم أشبه بالقرعة، ولكنه مدّعٍ بحيث إنه يحـاول أن يدارى صممه، وهو يفضل أن يتظاهر بالسـمع عن أن يطـلب إلى محـدثه أن يرفع صـوته. أمـا بالنسبة لى، فإننى فيمـا يتعلق بالأفكار التى تشغل العالم اليوم، يبدو لى أننى لا أقل عنه صمما، ومع كل فإننى لا أجد غضاضة فى ذلك، بل إننى لا أحاول أن أبـذل كبيـر مجهـود لكى أفهم. لقـد انتهى بى الأمر، مـن جراء عشـرتى "لماسيـون"و"بوسويـه" إلى الاعتقـاد بأن المشكلات التى كانت تؤرق هاتين العقليتين تعادل فى جمالها وأهميتها

تلك المشكلات التى كنت شغوفا بها فى مطلع شبابى . . مشكلات ربما لم تكن تفهمها هاتان العقليتان . . كما أننى لا أفهم تلك المشكلات التى تستهويك اليوم؛ لذلك، لو تكرمت يا زميل المستقبل، فإننى أفضل أن تحدثنى عن دراستك، مادامت هى أيضا دراستى، ولا تؤاخذنى إذا لم أسألك عمن تحب من الموسيقيين والشعراء والخطباء، ولا عن نظام الحكم الذى تفضله .

ونظر إلى ساعة مستديرة تتعلق بشريط أسود وقال وهو ينهض واقفًا :

– فلنعد الآن، إننى أعتبر نهارى ضائعا إن لم أباشر عملى فى العاشرة. فمددت له ذراعى فتناولها ! ولما كنت أتمهل فى سيرى أحيانا من أجله كان يقول لى :

– فلنسرع ! فلنسرع ! ما أشبه الأفكار بالأزهار، ما نقطفه منها فى الصباح يحتفظ بنضارته أطول وقت ممكن .

كانت مكتبة "الكارفورش" تتألف من حجرتين يفصل بينهما ستار بسيط، وكانت إحداهما شديدة الضيق يصعد المرء إليها بواسطة ثلاث درجات، وكان السيد فلوش يعمل فيها وهو جالس إلى مكتب أمام نافذة لا تطل على شيء، بسبب وجود دردارة تمد أغصانها حتى تلامس زجاج النافذة، وكان يوجد عل المكتب مصباح عتيق له خزان، يعلوه غطاء أخضر من الخزف، وتحت المكتب حشية لتدفئة القدمين، وفى أحد الأركان موقد صغير، وفى الركن الآخر مكتب آخر محمل بالمعاجم، وبينهما خزانة تستخدم رفا لحمل الأوراق، أما الحجرة

الثانية، فقد كانت فسيحة، بها كتب تغطى الجدار وتصل حتى السقف، وكان بها نافذتان، ومكتب كبير فى وسطها.

فقال لى السيد فلوش :

- هنا سيكون مقامك.

ولما صحت معارضا، قال:

- كلا، كلا، إننى اعتدت على الخلوة، والحق أقول إننى أجد فيها راحتى، فيبدو لى أن تفكيرى يتركز فيها. عليك بشغل المكتب الكبير بلا غضاضة، وإذا شئت أسدلنا الستار حتى لا يضايق أحدنا صاحبه.

فقلت معارضا :

- أوه! ليس من أجلى أنا، فإننى إذا كنت حتى الآن أشعر بضرورة الانفراد أثناء العمل، فإننى لا . . .

فعقب مقاطعا :

- إيه حسنا ! إذن سنتركه مرفوعا، فمن ناحيتى سأجد متعة كبرى فى أن ألمحك بطرف عينى . وفعلا، ففى الأيام التالية، ما كنت أرفع رأسى عن عملى إلا وألتقى بنظرة الرجل الطيب ويبتسم لى وهو يهز رأسه، خشية أن يضايقنى، أو يحول عينيه عنى ويتظاهر بالانغماس في القراءة.

وسرعان ما اهتم فوضع تحت تصرفى كل ما أحتاجه من كتب ومخطوطات، وكان معظمها موجودا فى رف الحجرة الصغيرة،

وكانت تفـوق فى عددها وأهمـيتهـا ما ذكره لى الأسـتاذ "دينوس"، وكان لابد لى على الأقل من أسبـوع كامل لكى أنقل البيانات القـيمة التى أعثر عليـها بين ثناياها، وأخيرا فتح السيـد "فلوش" خزانة غاية فى الصـغر كانت بـجوار الرف وأخرج مـنها نسـخة الكتـاب المقدس الشهـيرة التى كان يملكها "بوسـويه" والتى كان نسر مدينـة "مو" قد خط عليهـا- أمام الآيات التى أصبـحت متونا- تـواريخ إلقاء العظات التى أوحت له بهـا تلـك الآيات، ودهشت لأن "ألبـيـر دينوس" لم يستـفد من هذه البـيـانات فى أبحـاثه، ولكننى علمت من الـسيـد "فلوش" أنه لم يحصل على هذا الكتاب إلا منذ أمد قصير.

واستطرد قائلا :

- لقد كتبت بالفعل مـذكرة بشأنها، وإننى أهنىء نفسى الآن لأننى لم أخبر أحدًا بها، فستفيدك فى رسالتك بما فيها من جدة وطرافة .

فاعترضت مرة أخرى قائلا :

- إن كل ما لرسالتى من قيـمة وفضل، إنما أدين به لفضلك أنت، فهل تتكرم ياسيدى فلوش فتقبل منى أن أهديها لشخصك دليلا بسيطا على عرفانى بالجميل ؟

فابتسم ابتسامة يشوبها الحزن :

- عندما يكون الإنسان موشكا على فراق الدنيا، فإنه يبتسم راضيا لكل مـا يحـقق له بعض الخلـود . ووجدت أنـه ليس من الذوق فى شىء أن أتمادى فى هذا الشأن وإذا به يستطرد قائلا :

- والآن، عليك بالاستيلاء على المكتبة، ولا تكترث لوجودى إلا عندما تريد أن تستفسر منى عن شىء . خذ ما يلزمك من أوراق . وإلى اللقاء!

وبينما كنت ألتفت إليه مبتسما وأنا أهبط الدرجات الثلاث، لوح بيده قائلا : إلى اللقاء ! ونقلت إلى الحجرة الكبرى الأوراق التى تمثل باكورة عملى، وبدون أن أبتعد عن المكتب الذى كنت أجلس إليه، تمكنت من رؤية السيد "فلوش" فى حجرته الصغرى ، وتحرك لحظات يفتح بعض الأدراج ثم يغلقها من جديد، ويخرج الأوراق ثم يعيدها إلى مكانها متظاهرا بالانشغال . . وتبين لى حقا أنه كان فى غاية الاضطراب أو على الأقل محرجا بسبب وجودى، وأن أقل خلل فى تلك الحياة المنظمة غاية التنظيم يمكن أن يخل باتزان التفكير ، وأخيرا استقر إلى مكتبه، وغاص حتى منتصف ساقيه فى الحشية، ولم يعد يبدى حراكا . . .

أما بالنسبة لى فقد كنت أتظاهر بالانهماك فى العمل، إلا أننى وجدت مشقة كبرى فى السيطرة على تفكيرى، بل لم أحاول ذلك، فقد كان تفكيرى يحوم حول "الكارفورش" ، وكأنه يحوم حول برج قصر محاولا اكتشاف مدخله ، وكل ما كنت أحاول أن أقنع به نفسى هو أننى فطن ذكى، وكنت أحدث نفسى قائلا: " صديقى، أيها الروائى، سنراك وأنت أمام التجربة. الوصف ! آه، أف ! ليس الوصف هو المهم الآن، وإنما المهم هو الكشف عن الباطن تحت الظاهر.

لو غفلت عن أية حركة، أو أية لفتة، دون أن تجد لها التفسير النفسى والتاريخى الكامل، فأنت لا تفقه مهنتك.

وصعدت ببصرى نحو السيد "فلوش"، وكان يعرض لى من جانب، فرأيت أنفا ضخما لا يعبر عن شىء، وحاجبين كثيفين، وذقنا حليقا لا يكف عن الحركة كأن صاحبه يمضغ تبغا ... وفكرت أنه ما من شىء يضفى الغموض على وجه الإنسان مثل قناع الطيبة الذى يغلفه .

وإذا بجرس الغداء يفاجئنى وأنا غارق فى هذه الخواطر .

# ٣

وعلى هذا الغداء، قدمنى السيد " فلوش " دون سابق إنذار، إلى السيد " سانت أوريول " وزوجته، وكان فى إمكان القس أن يخطرنى بذلك مساء أمس، وأتذكر أننى فيما مضى شعرت بنفس الدهشة عندما رأيت لأول مرة فى حديقة النباتات طائر النمام أو طائر الغواص، ولا أدرى أيهما كان أغرب من الآخر ، البارون أم البارونة، فقد كانا زوجين متماثلين أشبه بالسيد " فلوش " وزوجته، ولو قدر لهما أن يوضعا فى أحد المتاحف ، لوضعا متجاورين بلا تردد خلف واجهة زجاجية بالقرب من " الأنواع المنقرضة "، ولقد شعرت نحوهما فى بادىء الأمر بذلك الإعجاب الغامض الذى نشعر به أمام التحف الفنية الرائعة أو أمام عجائب الطبيعة والذى يتركنا أول وهلة ذاهلين عاجزين عن تحليله، كذلك لم أتمكن من تحليل انطباعى إلا بعد نظر وتأمل . . .

كان البارون « نارسيس سانت أوريول " يرتدى بنطلونا قصيرا، وينتعل حذاء بارز الإبزيم، ورباط عنق من الموسيلين، وكانت له جوزة

عنق تماثل ذقنه فى بروزها، وتخرج من فتحة الياقة محاولة الاستخفاء ما استطاعت تحت ثنايا وشاح منتفخ من الموسيلين، وكان ذقنه لأقل حركة من فكه يبذل مجهودا خارقا ليتصل بأنفه الذى يحاول من ناحية أن يحقق ذلك، وكانت إحدى عينيه مسدودة فى إحكام، أما عينه الأخرى، فكان طرف الشفة يتهافت إليها وتتجه نحوها كل ثنايا الوجه، فقد كانت تومض فى صفاء، قابعة خلف الوجنة كأنما تقول : حذار ! أنا وحيدة، ولكن ما من شىء يفلت منى.

أما زوجته، مدام دسانت أوريول، فقد كانت تختفى تماما فى فيض من نسيج الدنتيلا الزائفة، وكانت يداها الطويلتان المثقلتان بالخواتم الضخمة، ترتجفان وهما قابعتان فى جوف كميها، أما وجهها فقد كان متدثرا فى شبه كساء طويل من الحرير الأسود المبطن بشرائط من الدانتيلا البيضاء، وتحت الذقن عقّدت عصابتان من الحرير أبيّضتا من أثر المسحوق المتساقط من وجهها الذى أسرفت فى ذره بطريقة بشعة، وعندما دخلت، نهضت واستقرت أمامى بجانبها، وطرحت رأسها إلى الوراء ، ثم زعقت بصوت مرتفع خال من التنغيم :

- أتى زمن، ياشقيقتى، كان الناس فيه أكثر احتراما وتقديرا لاسم سانت - أوريول . .

ترى على من كانت ساخطة ؟ لابد أنها تريد أن تشعرنى أمام أختها أننى لا أنزل عند آل فلوش، لأنها استطردت وهى تميل رأسها جانبا فى تلاطف ظاهر وترفع يمناها نحوى قائلة :

– إنه ليسر البارون، ياسيدى، كما يسرنى، أن نستقبلك على مائدتنا .

فطبعت قبلة على خاتم بيدها، وانتصبت بعد القبلة وأنا أشعر بالخجل لأن وضعى بين " آل فلوش » و" آل سانت أوريول " بدا لى محرجا، إلا أن مدام فلوش لم يبد أنها أعارت قول أختها أى اهتمام، أما البارون فقد كنت أرتاب فى حقيقة أمره على الرغم من أنه كان معى لطيفا وظريفا، وطوال إقامتى فى الكارفورش لم يستطع أحد أن يقنعه بأن ينادينى بغير السيد " لاكاز " ، الأمر الذى كان يسمح له أن يؤكد أنه طالما رأى أهلى فى التويلورى . . وبخاصة عمًا لى كان يلعب معه لعبة الورق .

– آه ! لقد كان طريفا ! كان كلما ألقى بورقة رابحة، صاح بأعلى عفيرته " دومينو " !

كانت أحاديث البارون كلها من هذا المستوى تقريبا، وعلى المائدة كان هو الوحيد الذى يتحدث تقريبا، وبعد ذلك، وما أن ترفع المائدة حتى يتحصن فى صمت أشبه بصمت المومياء . . .

وعندما كنا نهاجر حجرة الطعام، اقتربت منى " مدام فلوش " وهمست قائلة :

– هل يتلطف السيد " لاكاز " فيسمح لى بحديث قصير معه ؟

وبدا لى أنها لم تكن تريد أن يطلع أحد على هذا الحديث، لأنها راحت تجذبنى إلى جهة بستان الخضروات وهى تقول بصوت مرتفع إنها تريد أن ترينى صفا من الأشجار المعروشة على الجدار .

وما أن وثقت أن أحدا لا يستطيع أن يسمعها، بدأت حديثها قائلة :

- إن حديثى معك بخصوص حفيدنا .. إننى لا أريد أن أبدو فى نظرك منتقدة لتعليم القس " سانتال " .. ولكنك وأنت تغوص في مصادر الثقافة نفسها ( كانت هذه عبارتها ) يمكنك أن تقدم لنا النصح فى هذا الشأن .

- تكلمى ياسيدتى، وثقى فى إخلاصى .

- إذن، فاسمع : إننى أخشى أن يكون موضوع رسالته، بالنسبة لغلام حدث مثله، فيه شىء من التخصص .

فاستفسرت فى شىء من الحرج :

- أية رسالة ؟

- الرسالة التى يتقدم بها لشهادة البكالوريا .

فعدت أقول وقد صممت على ألا أندهش لشىء :

- آه ! بالضبط . وما موضوعها ؟

- هاك : إن الأب يخشى أن يكون من شأن الموضوعات الأدبية أو الفلسفية المحضة أن تزيد من حدة هيام عقلية فتى ميال بطبعه إلى الأحلام .. ( هذا جانب من مخاوف القس ) ولذلك فقد حدا بـ " كازيمير " إلى اختيار موضوع تاريخى .

- ولكن هذا الرأى يا سيدتى يقوم على أساس متين، والموضوع الذى وقع عليه الاختيار، ما هو ؟

- أرجو المعذرة، فإننى أخشى أن أحرف الاسم . . " ابن رشد "

- إن القس طبعا لديه من الأسباب ما جعله يختار هذا الموضوع الذى يبدو لأول وهلة موضوعا متخصصا بعض الشيء .

لقد اختاراه معا . أما عن الأسباب التى يسوقها الأب مبررا لاختياره، فإننى على استعداد لقبولها، فقد ذكر لى أن هذا الموضوع يتضمن جاذبية قصصية من شأنها أن تثير اهتمام " كازيمير " الذى يشرد كثيرا ، ثم ( يبدو أن السادة الممتحنين يعلقون على هذا أكبر الأهمية ) إن الموضوع لم يسبق أن طرق قبل ذلك .

- فعلا، إننى لا أذكر . .

- ومن الطبيعى أن المرء، لكى يطرق موضوعا لم يسبق لغيره أن عالجه يجد نفسه مضطرا إلى الخوض فى طرق غير ممهدة .

- طبعا !

- إلا أننى أعترف لك بأن هناك ما يدعو لقلقى . . ولكننى قد أكون مغالية ؟

- سيدتى، أتوسل إليك أن تثقى فى أن صدق إخلاصى ورغبتى فى خدمتك لا حدود لهما .

- حسن ! أنا لا أشك فى أن " كازيمير " لديه من الكفاءة ما يؤهله فى القريب العاجل من التفوق فى امتحان رسالته، ولكنى أخشى أن تكون رغبة القس فى التخصص - وهى رغبة سابقة لأوانها - تجعله يهمل إلى حد ما الثقافة العامة، كالحساب مثلا والفلك . .

فسألت وأنا فى ذهول :

- وما رأى السيد فلوش فى كل هذا ؟

- أوه ! إن السيد فلوش يؤيد كل ما يعمل القس أو يقول .

- والوالدان ؟

- لقد عهدا إلينا بالغلام .

قالتها بعد تردد لطيف ثم أضافت وقد توقفت عن السير :

- أرجو منك ياسيد " لاكاز "، أن تتكرم بالتحدث إلى "كازيمير" لكى تطلع على أمره دون أن يبدو عليك أنك تقصد إلى ذلك . . وليكن ذلك فى غير وجود القس بالذات، فقد يرتاب فى الأمر، وأنا على ثقة أن بوسعك أن . . .

- بكل سرور ياسيدتى، ولن أعدم الوسيلة لاختلاق سبب للخروج مع حفيدكم . سيقوم مثلا باصطحابى فى زيارة لركن ما من أركان الحديقة . .

- إنه فى بادىء الأمر يبدو خجلا مع من لا يعرفهم بعد، إلا أن الثقة من طبعه .

- إننى لا أشك فى أننا لن نلبث أن نـصبح صديـقين حميـمين .
وبعـد قليـل جمـعتنا وجبــة العـصر مرة أخـرى، فقالت تخـاطـب " كازيمير " :

- كازيمير، عليك باصطحاب السيـد " لاكاز " ليرى المحجر، فأنا واثقة من أنه سيثير اهتمامه .

ثم قالت وهى تقترب منى :

- انصرفا بسرعة قبل أن ينزل القس، فقد يرغب فى مرافقتكما .

وعلى الفـور خرجت إلى الحـديقة، يقـودنى الغلام وهو يـعرج، فبدأت قائلا :

- هذا وقت الفسحة .

فلم يجب، فاستطردت قائلا :

- ألا تعمل شيئا بعد أن تتناول طعام العصر ؟

- أوه ! بلى، ولكن اليوم لم يعد عندى ما أنسخه .

- ما الذى تنسخه إذن ؟

- الرسالة .

- آه !

وبعد محـاولات من التقصى فهمت أن هـذه الرسالة إنما هى عمل خاص بالقس وهو يستخدم الغلام فى تبيـيضها ونسخها لوضوح خطه وسلامـته، وكان الغـلام يقوم بكتابة أربع صـور من الرسالة فى أربع

كراسات مغلفة يملأ منها فى كل يوم بضع صفحات، إلا أن "كازيمير" أكد لى أنه يجد متعة كبرى فى قيامه بعملية " النسخ " .

- ولكن لماذا تكتب أربع نسخ ؟

- لأننى أجد مشقة فى الاستظهار .

- وهل تفهم ما تكتبه ؟

- أحيانا، وأحيانا أخرى يشرح القس لى، أو يقول لى إننى سوف أفهم عندما أكبر .

كان القس بكل بساطة قد جعل من تلميذه ما يشبه سكرتيرا ناسخا ، فهل كان هذا هو تصوره لواجبه ؟ وشعرت بقلبى يفيض حسرة، فقررت بلا تردد أن أدخل معه فى نقاش مرير، وكان سخطى قد جعلنى أسرع الخطى على غير وعى منى، فكان " كازيمير " يجد مشقة فى متابعتى، ولاحظت أنه غارق فى عرقه، فمددت له يدى فاستبقاها فى يده، وراح يعرج إلى جانبى بينما أبطأت أنا من مشيتى .

- هل الرسالة رسالتك ؟

فأجاب على الفور :

- أوه ! كلا .

ولكننى عندما تماديت فى أسئلتى أدركت قلة معلوماته، ولا شك أنه لاحظ اندهاشى، فقد أضاف قائلا :

- إننى أقرأ كثيرا .

قالها كمسكين يقول : إننى أملك ثيابا أخرى !

- وماذا تحب أن تقرأ ؟

- كتب الرحلات .

وحوّل نحوى نظرة كانت الثقة قد سكنت فيها محل الحيرة، وقال :

- لقد سافر القس إلى الصين، هل تعرف ذلك ؟

وكانت لهجته تكشف عن إعجاب بأستاذه، واحترامٍ زائد .

وكنا قد بلغنا المكان الذى أسمته مدام فلوش بـ " المحجر " ، فوجدته مكانا مهجورا منذ أمد طويل، أشبه بمغارة تحف بها أحراش تحجبها عن الأنظار، فجلسنا فوق حجر فاتر بتأثير حرارة الشمس التى كانت قد شرعت فى المغيب، وكانت الحديقة تنتهى عند هذا المكان دون أن يحدها سياج أو جدار،

وكنا قد مررنا عن يسارنا بطريق تنحدر فى انحراف يقطعها حاجز صغير، وكان انحدار الطريق من الشدة بحيث كان يعتبر حماية طبيعية للحديقة .

وسألت كازيمير :

- وأنت يا كازيمير، هل سبق أن قمت برحلات ؟

فلم يجب، وطأطأ رأسه .. وكان الوادى عند أقدامنا غارقا فى الظلام، وكانت الشمس تحف بالتل الذى كان يحول دون استرسال الطبيعة أمامنا، وكانت هناك أكمة من أشجار الكستناء والبلوط تعلو تلاً جيرياً صغيرا انتشرت فيه أوكار الأرانب، كان المنظر بما فيه من رومانسية يتميز عن سائر المنطقة التى كانت تتسم بالرتابة .

وإذا بكازيمير يصيح قائلا :

- انظر إلى الأرانب . . .

وبعد برهة، أضاف وهو يشير بأصبعه إلى الأكمة :

- ذات يوم، صعدت هنا بصحبة سيدى القس .

وعند عودتنا مررنا ببركة تغطيها النباتات المائية، فوعدت كازيمير بأن أعد له سنارة وأدربه على صيد الضفادع .

ولم تختلف هذه السهرة الأولى التى لم تمتد بعد التاسعة كثيرا، عما تلاها من سهرات، بل ولا حتى فى ظنى عما سبقها، ذلك لأن أصحاب الدار كانوا يراعون مبدأ عدم الإسراف، فما أن انتهى العشاء حتى عدنا إلى حجرة الجلوس حيث كان " جراسيان " فى أثناء العشاء قد أشعل النار فى موقدها، وكان هناك مصباح كبير موضوعا على طرف منضدة من الخشب المطعم، يضيىء القطاع الذى يتناقل فيه كل من البارون والقس النرد عند طرف المنضدة، وكذلك كان هذا المصباح يضىء المائدة الصغيرة المستديرة التى كانت النساء يلعبن عليها لعبة الورق، وبدأت مدام " سانت أوريول " الحديث فقالت :

- إن السيد " لاكاز ؛ الذى اعتاد لهو باريس ومسراتها، لا شك سيجد فى لهونا شيئا من الخمول . .

وفى تلك الأثناء، كان السيد " فلوش " ، يجلس فى مقعد موسد فى ركن من أركان المدفأة، بين النوم واليقظة ، أما كازيمير، فقد كان يسند مرفقيه إلى المنضدة، واضعا رأسه بين يديه ، وقد تدلت شفته السفلى وسال منها اللعاب ، وعلى هذه الحال، كان يقرأ فى كتاب " جولة حول العالم " ، ومراعاة للياقة والذوق، تظاهرت بالاهتمام الشديد بلعبة النساء ، وكان من الممكن أن يتم اللعب بالاستغناء عن أحد اللاعبين الأربعة كما يحدث فى لعبة " الوست " إلا أنه من الأفضل أن تؤدى بأربعة لاعبين، ولذلك فما أن اقترحت الاشتراك فى اللعب، حتى سارعت مدام دسانت - أوريول بقبولى زميلا لها ، وفى الأمسيات الأولى تمكن الفريق المنافس من هزيمتنا فسعدت مدام " فلوش " ، وكانت بعد كل نصر تفوز به تربت ذراعى بيدها النحيلة المكسوة بقفاز بلا أصابع ، وكان يسود اللعب الكثير من حركات التهور والجرأة وأعمال المكر والدهاء والتفنن والمهارة ، وكانت الآنسة " أوليمب " متريثة فى لعبها متروية ، وفى بداية كل دور كنا نحدد النقط اللازمة لإحراز النصر ، وبعد ذلك كان كل لاعب يقامر ويزايد حسبما يكون تحت يده من أوراق ، وكان من شأن ذلك أن يتيح فرصة للتغرير والإيهام، وكانت مدام سانت أوريول تغامر فى تهور وجرأة وقد لمعت عيناها ، واحمرت وجنتاها ، وجعل ذقنها يرتعد ، وعندما كانت تجد بين يديها أوراقا رابحة ، كانت تركلنى بشدة بقدمها من تحت

المنضدة، وكانت الآنسة أوليمب تحاول أن تصمد أمامها، ولكنها لا تلبث أن ترتبك عندما تسمع صوت العجوز الحاد يصيح على حين فجأة :

– فيردور، أنت تكذبين !

وعند انتهاء الدور الأول كانت مدام فلوش تخرج ساعتها، وكان الوقت قد حان، ثم تنادى قائلة :

– كازيمير ! هيا، لقد حان الوقت .

فيحاول الطفل فى مشقة أن يتخلص من نعاسه، وينهض، ويبسط للرجال يدا مسترخية للتحية، ويعرض للنساء جبينه ليتلقى قبلاتهن، ثم يخرج وهو يتعثر فى مشيته .

وعندما كانت مدام سانت أوريول تدعونا لجولة الثأر، يكون أول دور فى النرد على وشك الانتهاء، وكان السيد فلوش فى بعض الأحيان يأخذ مكان صهره، ولم يكن السيد فلوش ولا القس يعلنان عن ألعابهما، ولا يسمع لهما سوى صوت دحرجة النرد داخل القرطاس أو فوق المنضدة، أما السيد " سانت – أوريول " فكان فى مقعده الموسد يناجى نفسه، أو يترنم بصوت خفيض، وفى بعض الأحيان كان يفاجىء الحاضرين بضرب النار بالملقاط فى غير حذر، فتتناثر الشظايا هنا وهناك، فتهب الآنسة " فيردور " وتؤدى فوق البساط ما كانت مدام سانت أوريول تسميه فى ظرف برقصة الشظايا .

وفى أغلب الأحيان، كان السيد " سانت أوريول " يترك البارون والقس فى تنافسهما ولا يغادر مقعده الموسد، وكنت فى مكانى أستطيع أن أراه، ليس نائما كما كان يدعى، وإنما هازا رأسه فى الظلام، وفى أول أمسية حدث أن توهج اللهب فأضاء وجهه، فتبينت أنه كان يبكى ! .

وعندما كان ينتهى اللعب فى التاسعة والربع، كانت مدام "فلوش" تطفىء المصباح، بينما تقوم الآنسة " فيردور " بإشعال شمعتين تثبتهما على طرفى طاولة اللعب .

وكانت مدام سانت أوريول وهى تضرب زوجها على كتفه بالمروحة توصى القس قائلة :

- أيها القس، لا تجعله يسرف فى السهر .

واعتقدت من أول ليلة أن من دواعى اللياقة أن ألبى دعوة النساء تاركا اللاعبين لتنافسهما والسيد فلوش لتأملاته، وكان آخر من يصعد منا، وفى الدهليز حمل كل منا شمعدانا، وقامت النساء بتحيتى كما يفعلن فى الصباح، وكنت أدخل حجرتى فلا ألبث أن أسمع السيدين وهما يصعدان، ثم سرعان ما يحل الصمت، إلا أن النور يظل يتسرب من تحت بعض الأبواب، وإذا ما اضطررت لسبب ما إلى الخروج فى الممر، فمن الجائز أن أصادف مدام فلوش أو الآنسة فيردور فى غلالة النوم يفرغان من عمل ما، بل وبعد ذلك أيضا، وعندما يظن المرء أن كل ضوء قد أطفىء، كان يرى طاقة من الزجاج تستمد نورها من ضوء الدهليز ولا تفضى إليه، وبداخلها مدام سانت أوريول فى صورة خيال الظل وهى ترتق بعض الثياب .

# ٤

كان يومـى الثانى فى "الكارفـورش" شبيـها باليـوم الأول بشكل ملموس، ساعة بساعة، إلا أن افضول الذى كان يدفعنى إلى الاطلاع على حياة أهل البيت كان قد زال تماما، وكان ثمة رذاذ دقيق يملأ الجو منذ الصباح، فلما استحالت النزهة، وكان حديث هؤلاء النساء يخلو مع مرور الوقت من الهدف والمعنى، فقد شـغلت سائر ساعات النهار تقريبـا فى العمل، ولم أكد أتـبادل مع القس بعض العبـارات، وكان ذلك بعد الغداء حـيث دعانى إلى تدخين سيجـارة على بعد خطوات من حجـرة الجلوس، فى مكان يشبـه مستـودعا كان يطـلق عليه أهل الدار تعظيما: التعريشة، وكانوا يضعون فيـه مقاعد الحديقة وكراسيها طوال فصل الشتاء الردىء.

وعندما طرقت موضوع تعليم الطفل فى شىء من الحدة قال لى:

- ولكننى يا سـيدى، أسـتهـدف شيـئا خـيرا من تفـتيح مـدارك "كازيميـر" بكل ما أملـك من علوم متـواضعة، وإننى لـم أعدل عن هدفى هذا إلا مرغما. هل كنت تؤيدنى، وهو يعرج هكذا، لو تراءى لى أن أعلمه الرقص على الحبل؟ سرعان ما وجدت أن من واجبى أن

أحد من آمالى، وإذا كـان يشغل نفسه معـى بابن رشد، فذلك لأننى أقوم ببحث فى فلسفة أرسطو، ففضلت أن أشركه معى فى هذا العمل بدلا من أتبحـر معـه فى كتاب من كـتب النحو، وسـواء كان هذا أو ذلك، فالمهم هـو إشغال "كـازيمير" ثلاث سـاعات أو أربع كل يوم، هل كان بوسـعى أن أتجنب الشعـور بالسخط لو أنه أضـاع وقتى هذه السـاعات، ودون أن يسـتـفيـد هو من ذلك. . كـفى نقاشـا فى هذا الموضوع، على أما أظن.

وبعد ذلك ألقى سـيجارته، وكان قـد تركها حـتى انطفأت ونهض ليعود إلى حجرة الجلوس.

ولقد منعتنى رداءة الجو من الخـروج مع "كازيمير" ، فاضطررنا إلى أن نرجىء لليوم التالى ما كنا قد أزمعناه من صـيد، ولكننى أمام خيبة أمل الغلام، حاولت أن أقدم وسيلة أخرى لـلتسلية، وكنت قد عثرت على رقعـة للشطرنج، فشرعت أعـمله لعبة الدجـاج والثعلب، فظل شغوفا بها حتى العشاء.

وبدأت السهرة مشابهة تماما لسـابقتها، غير أننى لم أعد أنصت أو أنظر إلى شىء، فقد بدأ يجثم صدرى ضيق غامض لا أدرى كنهه.

وما أن فرغنا من العشاء، حتى هبت ريح عاصفة، فأوقفت الآنسة "فيردور" اللعب مرتين، وصعدت إلـى الحجرات العليا لترى إذا كان المطر قد تسرب إليها، واضطررنا إلى أن نلعب دور الثأر بدونها،إلا أن اللعب كان يخلو من الإثارة، وكان السيد "فلوش" جـالسا فى مقعد موسد منخفض بالقرب من المدفأة يهدهده صوت المطر المنهمك، فينام نوما عميـقا، وكان البارون أمامه جالسا فى مـقعده يشكو ويتوجع من آلام الروماتزم.

ولما لم يجد القس منافسا يلاعبه جعل يردد دعوته للبارون.

- قد يروح عنك دور من النرد.

ولما لم يصل معه إلى نتيجة، انصرف مصطحبا "كازيمير" ليرقده في فراشه، وعندما وجدتني في ذلك المساء وحيدا في غرفتي، تملكني قلق لا يرحم استولى على روحي وجسدي، وإذا بضيقي يستحيل خوفا. كان ثمة جدار من الأفكار يفصل بيني وبين بقية العالم، فإذا إنا فريسة كابوس مزعج، بعيدا عن كل عاطفة، بعيدا عن الحياة، بين مخلوقات غريبة لا تكاد تكون من البشر، جمدت قلوبها وبهتت وجوهها، وكفت قلوبها عن الخفقان منذ أمد بعيد، ففتحت حقيبة السفر، وأخرجت دليل القطارات. أريد قطارا! مهما كان الوقت نهارا أو ليلا.. ليحملني بعيدا! إنني هنا أختنق..

وعندما استيقظت في اليوم التالي، لم أكن أقل تصميما، إلا أنني وجدت أنه مما يتنافى مع الذوق وآداب اللياقة أن أهجر المضيفين دون أن أنتحل لهم عذرا أعلل به سبب قطع إقامتي، أو لم أتهور وأذكر لهم أنني سأتأخر إسبوعا على الأقل على الكارفورش؟ لقد جدتها! سأقول لهم بأن أنباء سيئة تستدعيني إلى باريس.. ولحسن الحظ، كنت قد تركت عنواني في باريس قبل المجيء فكان من المفروض أن يرسل بريدي كله إلى الكارفورش، وقلت في نفسي إنها حقا لمعجزة أن لم يصل حتى اليوم أي خطاب أستطيع أن أستغله في مهارة وحذق وعلقت أملي بوصول ساعي البريد، وكان يأتي بعد الظهر بقليل،

عندما كنا نفرغ من غدائنا، فكنا لا نغادر المائدة قبل أن تأتى "ديلفين" حاملة إلى مدام "فلوش" رزمة خفيفة من الخطابات والمطبوعات فتتولى هذه توزيعهـا على الحاضرين، ولسواء الحظ، حـدث فى ذلك اليوم، أن كان القس "سـانتال" مدعـوا لتناول الغداء عند عـمدة بلدة "بون ليفيك"، وفى حـوالى الساعة الحادية عـشرة، جاء ليسـتأذن من مدام "فلوش" ومنى، ولم أدرك عندئذ أنه بذلك يسلبنى الجواد والعربة.

وعلى الغداء، قـمت بأداء الدور الذى أعددت له، فـدمدمت وأنا أفض أحد المظاريف التى قدمتها لى مدام فلوش:

- سبحان الله! يا لها من مضايقة!

ولما لم يلتفت أحـد من أهل الدار إلى صيحـتى خشيـة إحراجى، عاودت الكرة رافـعا صـوتى ومتـصنعا الدهشـة والضيق بينمـا عيناى تجولان بين سطور رسالة لا أهمية لها:

- واأسفاه!

وأخيرا تجرأت مدام فلوش وسألتنى بلهجة يشوبها الحياء:

- ما هذا النبأ السىء، ياسيدى العزيز؟

فأجبت على الفور:

- أوه ! لا شىء، ولكننى للأسف أرى أنه يتـحتم علـى أن أعود إلى باريس حالا، وهذا ما يكدرنى.

وعمت الدهشة سائر الجـالسين إلى المائدة،فجاوزت ما كنت أتوقع

حتى احمـر وجهى خجلا، وتجلت هذه الدهشـة أول الأمر فى وجوم شامل قطعه السيد "فلوش" فى صوت تشوبه الرجفة:

- أصحيح يا صديقى العزيز؟ ولكن عملك! ولكن..

ولم يستطع أن يكمل، ولم أجـد ما أجيب به، ولا مـا أقوله، بل لقد انتابنى شعور ظفيف بالتأثر وكانت عيناى مسلطتين على قمة رأس كازيمير، فرأيته وقد دس أنفه فى الطبق، وجعل يقطع تفاحة إربا إربا، أما الأنسة "فيردور" فكان وجهها قد احمر قانيا من الغيظ.

وإذا بمدام "فلوش" تقول فى صوت ضعيف:

- أعتقد أنه مما ينافى الذوق يا سيدى أن نطلب منك البقاء!

فقالت مدام سانت أوريول فى حدة:

- لما يقدمه الكارفوش من ألوان اللهو والمتعة!

فحاولت الاعتراض قائلا:

- أو! سيدتى، ثقى تماما أنه ما من شىء..

غير أن البارونه، دون أن تنصت لقولى، زعقت بأعلى عقيرتها فى أذن زوجها وكان يجلس إلى جوارها:

- إن السيد "لاكاز" يريد أن يرحل عنا.

فقال الأصم وهو يبتسم لى:

- عظيم! عظيم! ما أشد سرورى لذلك.

وعندئذ توجهت مدام فلوش بالحديث إلى الآنسة "فيردور" قائلة:

- كيف سنتصرف؟ إن الجواد مع القس.

فتراجعت قليلا وقلت:

- المهم أن أكون فى باريس صباح غد.. وإذا لزم الأمر، فإن قطار الليل قد يكفى.

فقالت مدام فلوش:

- فلتذهب يا "جراسيان" على الفور لترى إذا كان من الممكن أن نستخدم جواد آل "بولينى"، أخبرهم أن عليك أن تنقل شخصا يريد أن يستقل قطار الساعة..

وقالت وهى تلتفت نحوى.:

- هل يكفى قطار الساعة السابعة؟

- أوه! سيدتى، إننى آسف إذ أسبب لكم كل هذه المضايقات..

وانتهى الغداء فى سكون، وما زن فرغنا منه، حتى صحبنى السيد فلوش وخرجنا، وعندما أصبحنا وحدنا فى الممر الذى يفضى إلى المكتبة، قال لى:

- سيدى العزيز.. صديقى العزيز.. إننى لا أستطيع أن أصدق بعد.. ولكنك لا تزال فى حاجة إلى معرفة الكثير. أمن الممكن أن يحدث هذا؟ يالها من مضايقة! يالها من مضايقة فظيعة! كنت أنتظر أن تنتهى من المرحلة الأولى من البحث، لاضع تحت يدك أوراقا

أخرى أضرجتها مساء أمس. أعترف لك أننى كنت أعتمد على هذه الأوراق لأثير اهتمامك من جديد وأستبقيك مدة أطول، فلابد إذن من إطلاعك عليها فورا. تعال معى، فلا يزال لديك فسحة من الوقت حتى المساء لأننى لا أجرؤ أن أسألك العودة مرة أخرى، ألس كذلك؟

وأمام ضيق الكهل وكدره، أحسست بالخجل من تصرفى، وكنت قد أضنيت نفسى فى العمل طوال نهار أمس وصباح اليوم، بحيث لم يتوفر لى من الوقت إلا مايتيح لى أن ألقى نظرة عابرة على الأوراق الأزولى التى كان السيد "فلوش" قد استودعنى إياها، ولكننا ما أن صعدنا إلى خلوته حتى بادر بفتح أحد الأدراج وأخرج من جوفه، فى حركة غامضة، لفافة يغلفها نسيج من قماش يثبته خيط رفيع، وتحت الخيط دست بطاقة على هيئة قائمة بالأوراق التى بالداخل ومصادرها، فقال لى فلوش:

- خذ اللفافة كلها، وليس كل ما تحويه طبعا من الأوراق المهمة، ولكنك تستطيع أسرع منى أن تستخرج من بينها ما يهمك.

وبينما كان يفتح بعض الأدراج الأخرى، ويغلقها ويتظاهر بالانشغال، نزلت إلى المكتبة حاملا الأوراق التى فضضتها فوق المنضدة الكبيرة.

وكانت بعض الأوراق فعلا تتصل ببحثى، ولكنها كانت قليلة العدد ضئيلة الشأن، وكان أغلبها مكتوبا بخط السيد "فلوش" نفسه ومتصلا بحياة "ماسيون" ولذلك فلم تكن تعنينى فى كثير.

أصحيح أن "فلوش" المسكين كان يعتمد على هذه الأوراق ليستبقيني؟ فنظرت إليه، كان في ذلك الوقت قد غار في مقعده وأمسك دبوسا يفتح به في دقة وصبر ثقوب وعاء صغير لصب السندروسي، وما أن فرغ من هذه العملية، حتى رفع نظره فالتقى بنظري، وإذا بابتسامة ودية تنير وجهه فنهضت لكي أحادثه، واتكأت على ذراعي مقعده في مواجهة جسمه الضئيل وقلت أخاطبه:

- سيدي "فلوش"، لماذا لا تأتي إلى باريس؟ إنه ليسرنا أن نلقاك هناك.

- في مثل سني، يكون الانتقال عسيرا وباهظ التكاليف.

- أولا تأسف على حياة المدينة؟

فقال وهو يرفع يديه:

- آه! كنت أتوقع أن يكون أسفي عليها أكبر. إن الوحدة في الريف، تبدأ قاسية لمن يحب الحديث، ولكنه سرعان ما يعتادها.

إذن، فأنت لم تأت للإقامة في الكارفورش عن ميل أو رغبة؟

فخرج من مقعده ونهض واقفا، ثم وضع يده فوق كمي في ألفة وقال:

- كان لي في المعهد بعض الزملاء الذين أعزهم، ومنهم أستاذك "ألبير دينوس"، وأعتقد أنني كنت على وشك أن أشغل مكانا بينهم..

ولاح عليه أن يريد أن يفـيض فى الحديث، ومع كل فـقد كنت لا أجرؤ على سؤاله مباشرة، فقلت:

- أهى مدام "فلوش" التى كان يستهويها الريف إلى هذا الحد؟

- كـلا. ومع ذلك فقـد جئت الريـف من أجلها، أمـا هى فقـد استدعاها إليه طارىء عائلى بسيط.

كان قد هبط إلى القاعة الكبيرة، فلمح اللفافة التى كنت قد أعدت ربطها، فقال لى فى أسى:

- آه! لقد اطلعت على كل شىء، وربما وحدت بينها شيئا ينفهك. وماذا كنت تريد؟ إننى ألتقط أقل الفتات.

وفى بعض الأحيان أقول فى نفسى إننى أضيع وقتى فى جمع التافه من الأشيـاء ولكن لابد من وجود رجال مـثلى ليوفـروا على من كان مثلك القيام بهذه الأعمال الضئيلة الـتى يستفيدون منها فائدة عظيمة، وعندما سأقـرأ رسالتك، سأشعـر بالسرور عندما أجد تعـبى قد حقق لك ولو ذرة من الفائدة.

وإذا بالجرس يدعونا لوجبة العصر.

كنت أحدث نفسى: ما السبـيل إلى معرفة ذلك "الطارىء العائلى البسـيط" الذى كان وحده كافـيا لإقناع هذين العجوزين؟ هل يـعرفه القس؟ إننى بدلا من أن أناصـبه العداء، كـان يجب أن أستـألفه. لا يهم! لقـد فـات الآوان، ولا يمنع هذا أن السـيـد فلوش رجل كـريم

النفس وسأظل أحتفظ له بأعطر ذكرى، ووصلنا حجرة الطعام، فقالت مدام فلوش:

- إن كازيمير لا يجرؤ على سؤالك أن تخرج معه فى جولة قصيرة فى الحديثة، إننى أعرف أنه شديد الرغبة فى ذلك، ولكن الوقت قد لا يسعفك؟

كان الغلام يدس وجهه فى إناء من اللبن، فرفع هامته وهو بادى الابتهاج، فقلت:

- كنت على وشك أن أقترح عليه أن يصحبنى، فقد انتهيت من عملى وسأظل بلا مشاغل حتى يحين وقت الرحيل، ولحسن الحظ فقد كف المطر عن الهطول..

وصحبت الغلام إلى الحديقة.

كان الغلام يمسك بإحدى يدى بين يديه، وعند أول منعطف رفع يدى إلى وجهه الملتهب وجعل يغضط عليها طويلا وقال:

- لقد أخبرتنى بأنك ستمكث ثمانية أيام..

- يا صغيرى الحبيب، لا أستطيع أن أمكث أطول من ذلك.

- لقد مللت عشرتنا.

- كلا. ولكن لابد لى من الرحيل.

- إلى أين؟

- إلى باريس، وسوف أعود.

وما كدت أنطق بهذه العبارة حتى تطلع إلىّ فى قلق ولهفة:

- صحيح ؟ أتعد بذلك؟

وكان استفسار الغلام يتضمن كثيرا من الثقة، فلم تواتنى الشجاعة للتراجع؟ فقلت:

- هل تحب أن أكتب لك هذا على ورقة صغيرة تحتفظ بها؟

- أوه، أجل.

قالها وهو يقبل يدى بشدة ويقفز معبرا عن فرحته فى هوس وجنون.

- هل تعرف ما يجمل بنا أن نفعله الآن؟ بدلا من أن نذهب لصيد السمك، أحرى بنا أن نقوم بقطف بعض الأزهار لنقدمها لعمتك، ونذهب إليها حاملين باقة ضخمة لنفاجئها فى حجرتها.

كنت قد عزمت على ألا أغادر الكارفورش قبل أن أزور حجرة إحدى العجوزين، ولما كانت تتجولان بلا انقطاع بين أرجاء الدار كان من الجائز جدا زن تفاجئنى إحداهما فى زيارتى المتطفلة، فكنت أعتمد على الغلام فى إيجاد سبب لحضورى، فإذا كان دخولى فى أثر الغلام إلى الحجرة جدته أو خالته لا يبدو أمرا طبيعيا، فإنه بفضل باقة الأزهار قد أستطيع، فى حالة المفاجأة، أن أبرر موقفى.

غير أن قطب الأزهار فى "الكارفورش" لم يكن عملية بسيطة كما كنت أظن، فقد كان "جراسيان" يلاحظ الحديقة فى تشدد وصرامة،

ولم يكن بالإرشاد إلى الأزهار التى يمكن قطفهـا، بل إنه كان يتدخل أيضا فى تحديد الطريقة التى يتم بهـا قطف الأزهار، فلابد من مراعاة الدقـة والحـذر! ولابد من الحـيطة كل الحـيطة! ذلك مـا بـيَّنه لى "كازيمير". واقتادنا "جراسـيان" إلى حوض من أزهار الداليا الرائعة، كان من الممكن أن نقطف منـها عديدا من الباقـات دون أن نترك آثارا ظاهرة.

- من أعلى الغصن ياسيد كازيمير، كم مرة ينبغى أن أكرر ذلك؟

أقطف دائما من أعلى الغصن.

فصحت وقد نفد صبرى:

- نحن فى نهاية الموسم، فلا ضرورة لذلك الآن.

فأجاب مهتًـا بزن "ضرورة ذلك ماثلة فى كل وقت" وأنه "ما من موسم يحـبذ فيـه العمل السـيىء". إننى أمقت المتـحذلقين الذين لا يتحدثون إلا بالحكمة والمثل...

وفى حجـرة الخالة كـان السكون يسود أشبـه بسكون المتعـبد... وكانت مصاريع النوافذ مغلقة، وكان يوجد بالقرب من الفراش مصلى من خشب الموجنا المبطن بالمخمل الأحمر عائر فى كوة، يعلوه صليب من العاج والأبنوس يغطى نصفه غصن رفيع من البقس متعلق بشريط وردى ومـثـبت تحـت إحـدى إبطى الصليب. كـان كل شىء يوحى بالتعبـد، فنسيت ما جئت من أجله، ونسيت الفـضول الأجوف الذى جذبنى إلى ذلك المكان، فتركت "كازيمير" يرتب الأزهار كما يحلو له

فوق منضدة صغيرة، وأصبحت لا أنظر إلى شىء فى الحجرة، وكنت أحدث نفسى قائلا: هنا فوق هذا الفراش، سرعان ما ستنطفىء شمعة مدام "فلوش" العجوز، بعيدا عن أعاصير الحياة... أيها الشراع الذى يهفو إلى العاصفة! ما أهدأ هذا المرفأ!

كان "كازيمير" فى هذه الأثناء قد مل ترتيب الأزهار، فقد كانت أغصان الداليا الثقيلة قد غلبته على أمره وإذا بالباقة كلها تهوى على الأرض. وأخيرا قال لى:

- هلا تساعدنى!

وبينما كنت آخذ مكانه، أسرع إلى الطرف الآخر من الحجرة نحو خزانة فتحها وهو يقول:

- سأعد لك الورقة التى تتعهد فيها بالعودة إلينا.

فعقبت مبادرا:

- هو ذاك، هو ذاك، أسرع، فقد تغضب خالتك لو رأتك تنقب فى خزانتها.

- أوه إن خالتى مشغولة فى المطبخ، ثم إنها لا تزجرنى مطلقا.

وراح يكتب على إحدى أوراق الخطابات بكل دقة وعناية.

- والآن تعال ووقع.

فاقتربت وقلت ضاحكا:

- ولكنك يا "كازيمير" ما كان يجب أن توقع باسمك أنت.

ما من شك فى أن الغلام، رغبة منـه فى إضفاء الأهمية على هذا التعهد، ظن أن من المستحسن أن يوقع باسمه أسفل الورقة التى قرأت فيها ما يلى: "يتعهد السيد "لاكاز" بالعودة إلى الكارفورش فى العام القادم".

كازيمير سانت أوريول

ومكث برهة مرتبكا من ملاحظتى وضحكـى. كان الغلام قد فعل ذلك مدفوعا بكل قلبه، فهل كنت أهزأ به إذن؟

كان على وشك البكاء.

- دعنى أجلس مكان لأوقع.

فنهض، وعندما وقعت على الوقرة، قـفز فرحا، وانهال على يدى لثما وتثبيلاً، وهممت بالانصراف، بجذبنى من كمى، وقال وهو مائل على الخزانة.

سأريك شيئا.

قالها وهو يعالج زنبكا فى الخزانة ويسحب درجا كان يعرف طريقة فتحه، وجعل ينقب بين شرائط وإيصالات، ثم قدم إلى صورة صغيرة داخل إطار وقال:

- انظر!

فاقتربت من النافذة.

ما هذه الحكاية التى وقع فيها البطل فى غرام الأميرة بمجرد أن رأى صورتها، لا ريب أن هذه هى صورتها.

إننى لا أفهم فى التــصوير، ولا أهتم كثيـرا بهذا الفن، إلا أنه من المؤكد أن خبيرا فى التصوير يستطيع أن يتبين الصنعة فى هذه الصورة؛ فإن الشخصية لا تكاد تظهر للعـيان من فرط ما فى الصورة من جمال وروعــة، على أن هذا الجـمــال الظاهر كــان مــن النوع الذى لا يمكن للناظر أن ينساه، ولا أهمية عندى، كـما قلت لك، لمحاسن التصوير أو عيوبـه. إن المرأة الشابة التى كانت أمامى لم أكن أرى منــها سوى جانب من وجههــا، وكانت وجنتها تختفى تقريبـا خلف خصلة ثقيلة سوداء، الزفرات، وجيدها دقيـقا أشبه بغصن الورد. كانت هذه المرأة ذات حسن فتان وجمال مـلائكى، فلم أعد وأنا أتاملها أعى شيئا عن المكان أو الزمان، وكان كازيميـر قد ابتعد عنى ليكمل ترتيب الأزهار، فعاد ومال نحوى قائلا:

- هذه أمى. إنها جميلة، أليس كذلك؟

وشعرت أمام الغلام بالحـرج لأننى وجدت أمه على هذا القدر من الجمال.

- أين هى الآن، أمك.

- لست أدرى.

- ولماذا لا تعيش هنا؟

- إنها تمل الإقامة هنا.

- وأبوك؟

فاضطرب قليلا، وقال وهو يطاطئ رأسه كأنما يشعر بالخجل:

- أبى مات.

كانت أسئلتى تضايقه، ولكننى كنت قد صممت على التمادى فيها:

- هل تأتى أمك لزيارتك فى بعض الأحيان؟

فأجاب مؤكدا وهو يرفع هامته فجأة:

- أوه! أجل، كثيرا ما تأتى!

ثم أضاف وقد خفت صوته قليلاً:

- إنها تأتى وتتحدث مع خالتى.

- ولكنها تتحدث معك أنت أيضا.

- أوه! معى أنا. إننى لا أعرف كيف أتحدث إليها..

ثم إنها تحضر وأنا نائم.

- نائم!

- نعم. إنها تحضر ليلا..

ثم استسلم لثقته واطمئنانه (كان قد أمسك بيدى عندما وضعت الصورة) وأضاف فى حنان كأنما أفاض إلىّ بسرّ:

- فى آخر مرة، جاءت وقبلتنى فى فراشى.

- أو لا تقبلك فى العادة؟

- بلى. إنها تقبلنى كثيرا.

- إذن، فلماذا تقول "فى آخر مرة".

- لأنها كانت تبكى.

- هل جاءت مع خالتك؟

- كلا، بل دخلت بمفردها فى ظلمة الليل، وكانت تظننى نائما.

- وهل أيقظتك؟

- أوه، إننى لم أكن نائما، بل كنت فى انتظارها.

- كنت تعلم إذن بوجودها.

فطأطأ رأسه مرة أخرى، دون أن يجيب. فسألته فى إلحاح:

- كيف علمت بوجودها؟ وفى ظلمة الليل كيف عرفت أنها تبكى؟

- أوه، لقد شعرت بذلك.

- أولم تسألها البقاء معك؟

- أوه! بلى. وكانت مائلة على الفراش، فكنت أمسكها من شعرها...

- وماذا كانت تقول؟

كانت تضحك، وكانت تقول إننى سأنكش شعرها، وأنه لابد لها من الانصراف.

- ألا تحبك إذن؟

- أوه! بلى، إنها تحبنى كثيرا.

صاح بها فجأة مبتعدا عنى وقد التهب وجهه، فى نبرة تنم عن الوله والحب، حتى خجلت من سؤالى.

وإذا بصوت مدام فلوش يدوى عند سطح السلم مناديا:

- كازيمير، كازيمير! اذهب إلى السيد "لاكاز" وأخبره بأن الوقت قد حان ليستعد للسفر، فإن العربة ستكون هنا بعد نصف ساعة.

فاندفعت ونزلت السلم مسرعا، ولحقت بالعجوز فى الدهليز، وسألتها:

- مدام فلوش! أمن الممكن أن أكلف أحمد بحمل برقية؟

لقد وجدت طريقة تتيح لى، على ما أعتقد، أن أبقى بينكم بضعة أيام أخرى.

فتناولت كلتا يدى بين يدها:

- آه، صحيح يا سيدى العزيز؟

ولما كانت فى غمار تأثرها وانفعالها لا تجد ما تقوله، جعلت تكرر قائلة: صحيح! ثم أسرعت إلى نافذة فلوش وصاحت قائلة:

- صديقى! صديقى (هكذا كانت تناديه) السيد لاكاز يتفضل بالبقاء.

كان صوتها الضعيف يرن أشبه بجرس متصدع، ولكنه بلغ هدفه، فقد رأيت النافذة تفتح، والسيد "فلوش" يطل منها لحظة، ثم ما أن علم بالخبر حتى قال:

- أنا نازل ! أنا نازل !

ولحق به "كازيمير"، وظللت بضع لحظات أتقبل التهانى من كل على حدة، وكان الناظر يظننى من أفراد العائلة.

وكتبت برقية وهمية وأرسلتها إلى عنوان خيالى.

وقالت مدام فلوش:

- أخشى أن أكون أثناء الغداء قد أثقلت عليك فى الإلحاح، وأتعشم أن بقاءك هنا لا يضير كثيرا أعمالك فى باريس.

- أتعشم ذلك، يا سيدتى العزيزة. لقد رجوت أحد الأصدقاء أن يعتنى بمصالحى.

كانت مدام سانت أوريول قد أقبلت، وكانت تهوى بمروحتها وهى تدور فى الحجرة زاعقة بصوتها الحاد:

"يا له من لطيف! آه! ظرف فائق... ياله من لطيف!" ثم غابت، فعم السكون.

وقبيل العشاء، عاد القس من بون -ليفيك، ولما لم يكن يدرى شيئا عن موضوع سفرى، فلم يفاجأ ببقائى، وقال فى بشاشة:

- سيدى لاكاز، لقد أحضرت من بون -ليفيك بعض الصحف وأنا أهتم كثيرا بمهاترات الصحف، لكننى تصورت أنك قد تكون هنا محروما من الأخبار وأن هذه الصحف قد تهمك.

وكان ينقب فى ردائه:

- آه، لقد حملها "جراسيان" مع الحقيبة إلى حجزتى. انتظر لحظة، فسأحضرها لك.

- لا تفعل ذلك يا سيدى القس، سأصعد أنا لإحضارها.

وصحبته حتى حجرته، فرجانى أن أدخل، وبينما كان ينظف رداءه بفرشاة ويتهيأ للعشاء، سألته بعد تبادل بعض عبارات المجاملة:

- هل كنت تعرف أسرة سانت أوريول قبل أن تحضر أنت إلى الكارفوش؟

- لا

- ولا السيد فلوش؟

- لقد انتقلت من التبشير إلى التعليم فجأة، وكان رئيسى على صلة باليد فلوش، فعيننى للقيام بالمهام التى أباشرها الآن، كلا، فقبل أن أحضر إلى هنا، لم أكن أعرف تلميذى ولا والديه.

- أى أنك تجهل الطارىء الذى دفع السيد فلوش فجأة إلى مغادرة باريس منذ خمسة عشر عاما تقريبا، عندما كان على وشك أن يعين بالمعهد.

فهمهم قائلا:

- هذه تصاريف القدر.

- كيف؟! معنى هذا أن السيد فلوش وزوجته يعيشان هنا على نفقة آل سانت أوريول! فقال وقد ضاق صدره:

- كــلا، كــلا، إن آل سانت أوريول هم الذين فقدوا كل ثروتهم أو معظمها، ومع ذلك فإنهم يملكون قصر الكارفوش، أما آل فلوش، وهم فى سعــة من العيش، فإنهم يعــيشون معــهم ليساعــدوهم، فهم يتكلفون بنفقات المنزل، وبذلك يتيــحون لآل سانت أوريول الاحتفاظ بالكارفوش، ومن المفروض أن يؤول هذا القصر فيما بعد إلى كازيميز، وأعتقد أن هذا هو كل ما يأمله الغلام...

- وزوجة الابن؟ إن أم كازيمير ليست زوجة ابن سانت أريول، بل هى ابنته.

- ولكن اسم الغــلام؟ فتظاهر بــعدم الفــهم - ألا يدعى كازيميــر سانت أوريول؟

فأجاب ساخرا:

- آخ! كل ما هنــاك أن الآنسة سانت أوريول قــد تزوجت من ابن عم لها يحمل نفس اللقب.

- عظيم!

قلتها وقد أدركت بغيتى إلى حد ما، ولو أننى ترددت فى قفل باب المناقشة، وكان قد فرغ من تنظيــف ردائه، وكان يضع قدمه على حافة

النافذة، وطوق حذاءه بمنديل فى ضربـات شديدة ليزيل ما علق به من تراب.

فسألته قائلا:

- وهل تعرفها... الآنسة سانت أوريول؟

رأيتها مرتين أو ثلاث مرات، إلا أنها لا تمر بالقصر إلا مر الكرام.

- وأين تعيش؟

فاعتـدل واقفا، وألقى بالمنديل المعفر فى ركن من أركـان الحجرة، وقال:

- أهو استجواب إذن؟

ثم أضاف وهو يتوجه نحو الحوض:

- لن يلبث جرس العشاء أن يرن، ولن أكون مستعدا:

كان معنى هذا أن أنصرف عنه، وكانت شفتـاه المضمومتان تحبسان الكثير من الكلام، ولكنهما لن يسـمحا بأن يفلت منهما شىء فى هذه اللحظة.

# ٥

مضت أربعة أيام بعد ذلك وأنا لم أزل فى الكارفورش، وقد خفت حدة قلقى عما كانت عليه فى اليوم الثالث، إلا أننى كنت أكثر مللا، فلم أتوصل إلى جديد، لا فى الأحداث اليومية ولا فى أحاديث أهل الدار، فإذا بى أشعر أن فضولى إلى زوال من قلة الزاد، فرأيت أنه يجب أن أُعرض عن فكرة اكتشاف المزيد، وتأهقبت للسفر من جديد، فالأب يتظاهر بالبكم منذ أن ظهر له مدى اهتمامى بما يعلم، أما " كازيمير " فكلما كانت تزداد ثقته بى، كنت أزداد أمامه حرجا، فلم أعد أستطيع سؤاله، ثم إننى أصبحت أعلم كل ما يمكن أن يخبرنى به، وهو ليس أكثر مما أخبرنى به يوم أن أطلعنى على الصورة.

ومع كل فإن الغلام كان قد أنبأنى باسم أمه فى براءة وطهر، وربما كان من الجنون أن أبدى تأثرى على هذا النحو بالصورة الجذابة التى كان يرجع تاريخها إلى أكثر من خمسة عشر عاما، بل إنه حتى لو حدث، أثناء إقامتى فى الكارفورش، أن ظهرت إيزابيل دسانت - أوريول كما اعتادت أن تظهر، لما استطعت، ولما جرؤت على اعتراض سبيلها، ومهما كان الأمر، فقد كان فكرى الذى شغل بها

فجـأة قد كـف عن الشعـور بالملل والرتابة، فإذا بهـذه الأيام الرهيـبة الأخيرة تولى مسرعة وأفاجأ بانقضاء الأسبوع، ولم يكن هناك ما يبرر بقائى عند آل فلوش، خاصة وأن عملى لم يعد يقدم لى أسبابا لتأخير الرحـيل، ولكننى فى ذلك الصبـاح، كنت أتجول فـى الحديقـة وكان الخريف قد زاد من سعتهـا ورنين أصدائها، فإذا بى أجدنى أهتف فى صـوت خفـيض، ثم يزداد الصوت ارتفـاعا إيزابيل! . . . وإذا بهـذا الاسم الذى صدمنى فى بادئ الأمر، يكتسى بالرقة والملاحة ويستشرى فيه سـحر خفى . . ورأيتنى أردد قـائلا : إيزابيل سانت - أوريول : كنت أتخـيل ثوبها الأبيض عند كل منعطف لـمـمر يمرق ويختـفى عن ناظرى، وخلال أوراق الشجر التى لاتفتأ تتغير وتتلون، كان كل شعاع يذكرنى بنظرتها... وابتسامتها الحزينة، ولما كنت لا أزال جاهلا بالغرام وأفاعـيله، فقد تصـورت نفسى عـاشقاً، وطاب لى أن أكـون كذلك فهِمت فى سماوات الحب طائعا راضيا .

كم كانت الحـديقة جمـيلة ! وخاصة وهى تتـهيأ فى جـلال لحزن المنصـرف المنصرم . كنت منتـشيـا وأنا أنشج أريج الطحلب والأوراق الذاوية، وكانت أشـجار الكستناء الفرعـاء الصهباء، وقـد تجردت من أوراقها تقريبا، تميل بأغصانها على الأرض حتى تمسها، وكانت بعض أغصان العوسج الأرجوانية تتلألأ من خلال المطر المنهمر ، وبدأ الكلأ المجاور لها أخضر يانعـا، وكانت هناك بعض أزهار الكولشيك متناثرة فوق عشب الحديقة، وتحت ذلك بقليل، فى الوادى الصغير، كان ثمة مرعى وردى الون كأن النـاظر يلمحه من المحجر، وفـيه كنت أجلس عندما كان المطر يكف عن الانهمار، فـوق الحجر نفسه الذى كنت قد

جلست عليه مع " كازيمير " أول يوم، ومن يدرى فلعل الآنسة دسانت - أوريول جلست عليه فيما مضى ... فتوهمتنى أجلس إلى جوارها .

كان كازيمير يرافقنى فى أغلب الأحيان، ولكننى كنت أفضل أن أسير بمفردى، وكان المطر فى كل يوم تقريبا يباغتنى وأنا فى الحديقة، فكنت أعود مبللا إلى المطبخ لأجفف ملابسى بالقرب من الموقد، ولم تكن الطباخة تحبنى، وكذلك جراسيان، ولم أتمكن بتلطفى وتظرفى معهما أن أنتزع منهما ثلاث كلمات، حتى الكلب، لم أستطع أن أجعل منه صديقا، رغم مداعبتى له وتملقى إياه، وكان " ترنو " يقضى أغلب النهار راقدا فى الموقد الواسع، وكنت لا أكاد أقترب منه حتى يهب مزمجرا، أما كازيمير الذى كنت أراه فى أغلب الأوقات جالسا على حافة المدفأة يقشر الخضراوات، أو منهمكا فى القراءة فقد كان ضرب الكلب ضربا خفيفا زاجراً إياه، لانه يسيئ استقبالى، وكنت أتناول الكتاب من بين يدى الصبى وأواصل القراءة بصوت مرتفع، فيستند على ركبتى وأشعر به وقد انصرف إلىّ بسمعه وقلبه .

ولكن المطر المنهمر فى ذلك الصباح باغتنى شديدا بحيث لم أتمكن من التفكير فى العودة إلى القصر، فأسرعت ولذت بأقرب مأوى وهو المبنى المهجور الذى رأيتماه فى نهاية الحديقة قرب الباب الحديدى، وكان عندئذ متهدما فيما عدا قاعة واسعة كانت لا تزال أنيقة كأنها قاعة استقبال أو مكان لنزهة، إلا أن أخشاب جدرانها المنخورة كانت تتشقق وتتصدع لأقل صدمة .

وعندما دخلت دافعا بابها الذى لم يحكم إغلاقه حامت بعد الخفافيش واندفعت خارجة من النافذة التى تعرت من زجاجها، وكنت أظن أن المطر لن يطول، ولكننى وأنا آخذ نفسى بالصبر، وجدت أن السماء قد اكفهرت وأربدت تماما، وإذا بى مطوق فى حصار طويل الأجل، كانت الساعة تشير إلى العاشرة والنصف، وكان أهل الدار لايتناولون الغداء إلا فى الثانية عشرة، ووجدت أننى سأنتظر حتى يدق الجرس الأول الذى ما من شك فى أن صوته يبلغ هذا المكان، وكان معى ما يلزم للكتابة، ولما كان بريدى متأخرا، فقد حاولت أن أثبت لنفسى أن إشغال الفكر ساعة من الزمن لا يقل يسرا عن إشغاله يوما بأسره، إلا أن خيالى كان لا يفتأ يردنى إلى ... آه ! لو كنت أعلم أنها ستظهر ذات يوم فى هذا المكان، لحرقت هذه الجدران بزفرات قلبى الولهان، وسرعان ما تملكنى ضيق ممض تثقله العبرات، ومكثت منهارا فى ركن من أركان الحجرة، فلم يكن بها مقعدا أجلس عليه، وإذا بى أنفجر فى البكاء كطفل ضل السبيل .

من المؤكد أن لفظ الضيق أضعف من أن يعبر عن الأشجان المضنية التى كنت أقع فريسة لها فى كل حين، إن هذه الأشجان تستولى علينا فجأة، ونحن فى قمة سعادتنا، فقبل لحظة، يضحك لك كل شئ وتضحك أنت لكل شئ ، وفجأة إذا بغمامة سوداء داكنة تتصاعد من أعماق النفس وتقف حائلا بين المتعة والحياة، وإذا بها تكون ستارا أغبر يفصلنا عن بقية العالم، وإذا بحرارة هذا العالم وحبه وألمه وانسجامه لا تصلنا إلا فى صورة انعكاس مجرد، فنرى ولا نتأثر وربما أودى بنا ما نبذله من جهد يائس لاختراق هذا الستار الفاصل، إلى ارتكاب

أية جـريمة، وقـد يصل بنا الأمر إلى القـتل أو الانتحـار، وربما إلى الجنون ...

هذا ما كان يدور بخلدى وأنا أرهف سمعى للمطر المنهمر، وكنت أحتفظ فى يدى بمدية ففتحـتها لأبرى القلم، ولكن الورقة التى فتحت عليـها مفـكرتى ظلت بيضـاء، وإذا بى أحفـر بسن المدية على سطح الجدار المجاور لى محاولا نقش اسـمها، لم أكن أفعل ذلك عن اقتناع ولكن لأننى كنت أعلم أن العـشاق المولهين يفـعلون ذلك، وعلى أثر كل دفعة، كان الخشب البالى يتـهاوى ويسقط، وكأن كل حرف أنقشه يترك وراءه ثقـبا، وبلا قصـد منى، ولمجرد شغـل الوقت شرعت فى تجريح الخشب كيـفما اتفق مدفوعا بغريزة الهـدم البلهاء، وكان الغطاء الخـشبى الذى كنت أحطمـه يقع تحت النفـاذة مبـاشرة، وكـان إطاره منفصـلا فى أعلاه بحـيث كان من السهل أن يسـحب الغطاء كله من أسفل إلى أعلى بين الفرضات الجانبيـة، وهذا ما لحظته عندما فوجئت بمديتى ترفع هذا الغطاء الخشبى، فى غمار النقش والتجريح .

ولم تمض لحظات حـتى كنت قـد أجـهـزت على تفـتـيت الغطاء الخشـبى، وإذا بمظروف يسقط على الأرض مع فتات الخـشب، وكان هذا المظروف متسخا عطنا قد اكتسب لون الجدار بحيث لم أندهش له فى بادئ الأمر . كلا . لم أتعجب من رؤيـته، فلم أجد من الغريب أن أجده فى هذا المكان، ومن ثم كان عدم تأثرى، فلم أسع إلى فضه فى الحال، وكان دميما، مـغبرا، قذرا يظنه الناظر جزءاً من الأنقاض، وإذا كنت تناولته، فإنما كـان ذلك ليشغل فراغى، وإذا كنت فضـضته فإنما كان ذلك بطريقة آلية، فأخـرجت منه ورقتين مكتوبتين بخط كبير

غير منظم باهت اللون، يكاد أن يكون ممحـوا فى بعض أجزائه، ماذا يفعل هنا هذا الخطاب ؟ ونظرت إلى التوقـيع فذهلت ؛ لقد كان اسم إيزابيل مكتوبا فى نهاية الورقتين !

كـانت تشغل فكرى تـلك اللحظة ... فتـوهمت برهة أنهـا تكتب الرسالة لى : " حبيبى، هذه آخر رسالة منى لك ... إننى أكتب هذه الكلمات على عجل، لأننى أعرف أننى لن أستطيع هذا المساء أن أقول شيئالك، فـشفتاى وهما إلى جوارك لن تجدا سوى القـبل، فاسمعنى بسرعة وأنا لا أزال قادرة على الكلام، أنصت لى :

لقاؤنا في الحادية عشرة متقدم جدا، فالأفضل أن يكون فى الثانية عشرة إنك تعلم أننى أذوب لهفة إلى لقائك، وأن الانتظار يضنينى، ولكننى حـتى أسعى للقـائك، لابد أن ينام كل من فـى الدار . أجل الثانيـة عشـرة وليس قبل ذلك . تعـال للقائى عند باب المطبخ ( سـر بحذاء جدران بستان الخضراوات الذى يـقع فى منطقة مظلمة، وكذلك فهناك أشجـار العوسج ) انتظـرنى هنـاك، وليس أمام البـاب الحـديدى، ولا أقـول ذلك لأننى أخشـى أن أجتـاز الحـديقة بمفـردى، وإنما لأن الحقيبـة التى أحمل فيها بعض ملابسى ستكون بـالغة الثقل بحيث لن أقوى على حملها طويلا .

وإننى أرى من الأفـضل أن تظل العـربة فى طرف الشارع الضـيق حتى نتمكن من رؤيتها فى سهولة، وكذلك بسبب كلاب المزرعة التى من الجائز أن تنبح وتوقظ النيام، فهذا أقرب للحرص .

كلا ياصديقى، فكما تعلم، لم تكن هناك من وسيلة إلى لقائنا مرة أخرى والاتفاق على هذا كله شفاها، إنك تعلم أننى أعيش هنا أسيرة وأن العجوزين أصبحا لايسمحان لى بالخروج ولا لك بالدخول.آه!أى زنزانة هذه التى أفر منها ... سأهتم بأن آخذ معى زروجا من الأحذية كغيار أنتعله بمجرد أن نركب العربة، لأن العشب فى طرف الحديقة مبلل بالماء .

كيف تسألنى بعد ذلك إذا كنت عازمة ومستعدة ؟ ألا فاعلم ياحبيبى أننى منذ شهور أتهيأ، ومنذ شهور وأنا مستعدة، وها هى ذى أعوام مضت وأنا أنتظر هذه اللحظة ! وتسألنى : ألن أندم على ذلك . . نك إذن لم تفهم أننى أصبحت أمقت كل من تربطهم بى علاقة ، وكل مايقيدنى إلى هذه الدار . أهذه حقا " إيزا " الرقيقة المتهيبة التى تتحدث إليك ؟ صديقى وحبيبى، ماذا صنعت بى، ياغرامى ؟ . .

إننى هنا أختنق، وأفكر فى العوالم الأخرى التى تفتح لى أبوابها . . إننى ظمأى ...

أوشكت أن أنسى أن أخبرك أننى لم أنجح فى انتزاع فصوص الياقوت من علبتها لأن خالتى لم تعد تترك مفاتيحها فى حجرتها، ولم ينجح فى ذلك أى مفتاح آخر قمت بتجربته . . لا تؤنبنى، فلدى سوار أمى، والسلسلة المطعمة وخاتمان، وقد يكونان بلا قيمة كبيرة، ولكننى أعتقد أن السلسلة فى غاية الجمال، أما عن المال . . فسأبذل كل جهدى، ولكنك أيضًا تحسن صنعًا لو حصلت على مبلغ منه لك خالص دعواتى .

( الثانى والعشرون من أكتوبر الموافق عيد ميلادى الثانى والعشرين وليلة خلاصى )

صديقتك

إيزا

إننى أفكر فى رهبة، لو كان علىَّ أن أنسج رواية من هذه القصة الواقعية، فى الجهد الذى يتحتم على أن أبذله فى صياغة هذه الصفحات التى يستلزمها الإطناب، وفكرت بعد قراءتها، وتساءلت فى أمرها وانتهى بى التفكير إلى الحيرة والبلبلة والحقيقة أننى عرفت فى وجوم أسبه بالوجوم الذى يستتبع صدمة عنيفة، وعندما بلغ سمعى، عبر اضطراب دمائى، صوت الجرس يدق ويكرر الدق، تبينت أنه صوت الجرس الثانى الذى يدعو للغداء، فكيف لم أسمع الدقة الأولى ؟ وأخرجت ساعتى فوجدتها تشير إلى الثانية عشرة . . فقفزت إلى الخارج فى الحال أضم إلى قلبى تلك الرسالة واندفعت عارى الرأس تحت وابل المطر المنهمر .

فلقيت آل فلوش قلقين لغيابى، ولما بلغتهما لاهثًا، صاحا بى قائلين : إنك أيها السيد العزيز مبلل الثياب، مبلل تماما .

ثم رفضا أن يجلس أحد إلى المائدة قبل أن أغير ثيابى، فما أن نزلت حتى جعلا يسألانى فى تودد المحب، فوجدتنى مضطرا لأن أقص عليهما أن المطر احتجزنى داخل المنزل وأننى ظللت أنتظر عبثا مهلة يمنحها المطر المنهمر. فاعتذرا عن رداءة الطقس وبشاعة المرات ، كما اعتذرا عن دق الجرس الثانى قبل موعده بكثير ، وأن الجرس

الأول دق دقا أضعف من المعتاد . . . وانطلقت الآنسة " فيردور " لتحضر شالا رجاني آل فلوش أن أغطى به كتفى لأننى كنت لا أزال أتصبب عرقا ومن الجائز أن أصاب بسوء، وكان القس فى تلك الأثناء يراقبنى دون أن ينبس بكلمة، وقد ضم شفتيه شديدا حتى بدا عابس الوجه وكنت شديد الحساسية بحيث إننى تحت وطأة نظرته، شعرت بالخجل والارتباك كطفل أتى ذنبا، فرأيت من الواجب أن أتودد إليه لأننى بعد ذلك لن أعرف شيئا إلا عن طريقه، فهو وحده يستطيع أن يجلو لى ما غمض من هذا الموضوع الشائك الذى أصبحت أنجذب نحوه بدافع الحب أكثر من دافع الفضول .

وبعد تناول القهوة، كانت السيجارة التى قدمتها للقس ذريعة للمحادثة، فتوجهنا للتدخين فى تعريشة البرتقال حتى لا نضايق البارونة، فبادرنى فى لهجة ساخرة قائلا :

- كنت أظن أنك لن تمكث هنا أكثر من ثمانية أيام .

- هذا ما كنت أنوى عمله،لولا تلطف أهل الدار !

- ووثائق السيد فلوش ؟

- استوعبتها . . ولكننى وجدت سببا أدعى للانشغال .

- وانتظرت منه استفسارا، ولكنه لم يقل شيئا .

فاستطردت قائلا وقد نفد صبرى :

- لابد وأنك تعرف أسرار هذا القصر وخفاياه ؟

فجحظت عيناه، وقطب جبينه،وتظاهر بالبراءة والبلاهة. فقلت :

- لماذا لا تقيم مدام دسانت - أوريول، والدة تلميذك، هنا بيننا، فتوزع اهتمامها بين ابنها العاجز ووالديها المسنين ؟

ولكى يجيد تمثيل دور المندهش، ألقى بسيجارته وفتح يديه كالقوسين حول وجهه، وهمهم قائلا :

- ربما كانت مشاغلها تستدعى وجودها فى مكان آخر . ياله من سؤال مغرض !

- هل تريد سؤالا أكثر تحديدا . . ماذا فعلت السيدة أو الآنسة دسانت - أوريول، والدة تلميذك ليلة ٢٢ أكتوبر حيث كان من المفروض أن يأتى حبيبها لاختطافها ؟

فحط قبضتيه على خاصرتيه وقال :

- عجبا ! عجبا ! ياسيدى الروائى .

كنت قبل ذلك قد وجدتنى منساقا إلى الإفضاء له بأسرارى، وهو إفضاء لا ينبغى أن يكون إلا لشخص يبادلنى ودا بود ؛ لأن القس ما أن أدرك مقصدى،حتى شرع يسخر منى بطريقة لا طاقة لى بها، وأضاف قائلا :

ألا ترى أنك تتسرع قليلا ؟ هل لى أن أسألك بدورى كيف توصلت إلى هذه المعلومات ؟

- إن الرسالة التى كتبتها إيزابيل دسانت أوريول إلى حبيبها فى ذلك اليوم لم يكن قد تسلمها هو، ، بل تسلمتها أنا .

فعلا، كان يجب أن يدرك مدى خطرى، وفى تلك اللحظة لمح بقعة صغيرة على كم ردائه، فشرع يحكها بطرف ظفره، وبدأ يغير من موقفه .

إننى معجب بهذا التصرف . . ما أن يعتقد أحدكم أنه ولد روائيا حتى يستبيح لنفسه جميع الحقوق، ولو كان غيرك مكانك لفكر مرتين قبل أن يطلع على رسالة ليست موجهة إليه .

- بل إننى أرجو ألا يكون قد اطلع عليها بتاتا .

كنت أتفرس وجهه، غير أنه كان لايزال يحبك رداءه، وقد غض من عينيه .

- ومع كل، فإننى لا أظن أن أحدا طلب منك أن تقرأها .

- لقد وقعت هذه الرسالة بين يدى عن طريق المصادفة، كان مظروفا رثا متسخا، شبه ممزق ولا يحمل أى أثر لكتابة، وعندما فتحته، وجدت رسالة موجهة من الآنسة دسانت - أوريول، ولكن إلى من كانت موجهة ؟ هيا ياسيدى القس عاوننى، من كان منذ أربعة عشر عاما عشيق الآنسة داسنت - أوريول ؟ كان القس قد انتصب معتدلا، فشرع يسير طولا وعرضا فى خطى قصيرة، مطأطئ الرأس، مشبكا يديه خلف ظهره، وما أن أصبح خلف مقعدى للمرة الثانية، حتى توقف، وشعرت على حين بغتة بيديه تستقران فوق كتفى :

- أرنى هذه الرسالة .

- هل ستتكلم ؟

وشعرت بقبضتيه ترتجفان من اللهفة .

- أه ! لا تشترط ، أرجوك . . أرنى هذه الرسالة ... فقط .

- دعنى أذهب لأحضرها .

قلتها محاولا التخلص منه .

إنها معك هنا، فى جيبك .

كانت عيناه مسددتين إلى مكان الرسالة كما لوكانت سترتى تكشف عنها، فلعله لايقوم بتفتيشى !

كان وضعى لا يسمح لى بالدفاع عن نفسى، وخاصة ضد عملاق أقوى منى، ثم ما السبيل،بعد ذلك إلى حمله على الكلام؟ فالتفت. فإذا بوجهه يكاد ينطبقعلى وجهى كان وجهه منتفخا متورما خط جبينه عرقان ضخمان، وأسفل عينيه جيوب بغيضة .

فتكلفت الضحك خشية أن أفسد كل شئ بيننا، وقلت له :

- لعمرى أيها القس، أعترف أنك مثلى تعانى من الفضول !

فأخلى سبيلى، فنهضت فى الحال، وتظاهرت بالخروج .

- لو لم تستخدم معى أساليب قطاع الطرق، لكنت أريتك الرسالة . ثم قلت وأنا أتناوله من زراعه :

- فلنقترب من قاعة الاستقبال، لأتمكن من طلب النجدة .

كنت أبذل مجهودا خارقا لأحافظ على روح الدعابة فى لهجتى، إلا أن قلبى كان يدق دقا شديدا .

- خذ، اقرأها أمامى، أريد أن أرى كيف يقرأ القس رسالة غرام . قلتها وأنا أخرج الرسالة من جيبى .

ولكنه وقد تملك نفسه من جديد، لم يظهر أى انفعال إلا من خلال رعشة خفيفة فى عضلة ضغيرة على خده كان من المستحيل إنخفاؤها، وقرأ الرسالة، ثم تشمم الورقة ونشقها وهو يقطب حاجبيه فى شدة وبطريقة يبدو منها أن عينيه تسخطان على نهم أنفه، ثم أعاد طى الرسالة وردها إلى، وقال بلهجة شبه رسمية .

- فى نفس ذلك اليوم الثانى والعشرين من أكتوبر، قُتل الفيكونت بليز جونفريفيل فى حادث أثناء قيامه بالصيد .

- رنى أنتفض فزعا لما تقول ( فسرعان ما نسج خيالى قصة مأساة مهولة ) ويجب أن تعرف أننى عثرت على هذه الرسالة خلف أخشاب الدار، وما من شك فى أنه كان من المفروض أن يحضر إلى ذلك المكان ليتسلمها . .

وعندئذ أخبرنى القس أن أكبر أبناء جونفريفيل - وكانت ضيعتهم تجاور ضيعة آل دسانت أوريول - قد وجد قتيلا بجوار حاجز من الحواجز كان فيما يبدو أنه يجتازه، عندما أتى حركة خرقاء فانطلق عيار من بندقيته، ومع ذلك فلم يعثر فى ماسورة بندقيته على خرطوش العيار ولم يتقدم أحد بأية معلومات عن الحادث، فالشاب كان قد خرج بمفرده ولم يره أحد، إلا أنه فى اليوم التالى، عثر المارة على كلب من كلاب الكارفورش يعلق فى بركة من الدماء بالقرب من الدار .

وأردف القس قائلا :

- لم أكن بعد قد حضرت إلى قـصر الكارفوش، ولكنه يبدو لى، طبقا للمعلومات التى تمكنت من جمعها أن جراسيان هو الذى ارتكب الجريمة، فليـس من المستبعد أن يكون قـد اكتشف ما كـان بين سيدته والفيكـونت من علاقات، وربما عـلم كذلك بموضوع هـروبها ( وهو موضوع كنت أجـهله أنا نفسى قبل أن أقرأ هذه الرسالة ) فـهو خادم عنيد، شرس، لايـتورع عن إتيان أى فعل فى سبـيل الذود عن حمى أسياده .

- ولماذا لم يقبض عليه ؟

- لم يكن لأى أحـد مصلحـة فى اتهامه، وكان آل جونـفريفيـل وآل دسانت أوريول يخشيان ماقـد يثار من شائعات حول هذا الحادث المفجع، وفوق ذلك، فبعد عـدة شهور وضعت الآنسة سانت أوريول طفلا بائسا، وينسب الناس عاهة " كازيمـير " إلى ما اتخذته أمه من تدابير بغـية إخفـاء حملها، ولكن اللـه يعلمنا أن عقاب الآباء غـالبا مـايقع على الأبناء . تعال مـعى إلى الدار، فـإننى مشـوق إلى رؤية المكان الذى عثرت فيه على الرسالة .

كانت السـماء قد عـادت إلى صفـائها، فاتخـذنا طريقنا إلى الدار معاً، وتم ذهابنا على خـير مايرام، فقد تنـاول القس دراعى، ومضينا نسير فى خطى مـتساوية ونتحادث بلا صدام، ولكن الأمـر فسد عند عودتنا، فما من شك فى أن غرابة الحادث قد أثرت فى نفس كل منا، ولكن بطريقة مختلفة تماما، أمـا أنا، فأمام ما أظهره القس حيالى من

حسن الالتفات والتلطف فى اطلاعى على المعلومات، فقد نسيت مايمليه رداؤه من اخترام وهيبة، كما نسيت تحفظى، ووجدتنى أتحدث إليه كما لوكان رجلاً عاديا .. وإليكما، فيما أعتقد، كيف دب الخلاف بيننا : كنت أقول له :

– من ذا يحكى لنا مافعلته الآنسة دسانت-أوريول فى تلك الليلة ! فما من شك أنها لم تعلم بخبر موت الكونت إلا فى الصباح ؟ فهل انتظرته فى الحديقة ؟وحتى متى ؟ وماذا طنت عندما لم يأت ؟

كان القس يلزم الصمت جامدا تماما، لايتأثر لشاعريتى، فعدت أقول :

– تصور هذه الفتاة الرقيقة، وقلبها مثقل بالغرام والأسى ورأسها مفعم بالهوس، إيزابيل، المتيمة ! فهمس القس :

– قل إيزابيل الفاجرة !

– فواصلت حديثى كأنما لم أسمع همسه، ولكننى كنت قد عزمت على الدفاع عنها لو عاد إلى مهاجمتها .

– فكر فى كل ما كانت تعلقه من آمال، وما انتابها من يأس ..

فقاطعنى فى جفاء :

– ولماذا تفكر فى هذا كله ؟ ليس علينا أن نعرف عن الأحداث سوى ما يفيدنا .

– ولكن الفائدة منها تختلف باختلاف المعلومات التى نعرفها عنها .

– ماذا تقصد بذلك ؟

- إن معـرفتنا السطحية بالأحـداث لاتتفق ومعـرفتنا العميـقة التى نستطيع فيما بعد أن نتوصل إليها، وأن المعلومات التى نستخلصها من كل هذين النوعـين من المعـارف لاتكون واحـدة، وأن من الخـيـر أن نتمعن الأمور ونتقصّاها قبل أن نخلص إلى النتائج .

- صـديقى الشاب، اعلم أن الميل إلـى التمـعن والتقـصى وحب الانتقاد هما جرثومة التمرد . إن الرجل العظيم الذى اتخذته مثالا كان أحرى أن يعلمك أن

- تقـصـد ذلك الذى أكـتب عنه رسـالتى . . يـالك من مناكف لحوح، أبمثل هذه الروح . .

- ولكن بالله عـليك ياسـيـدى القس إلاّ أخـبـرتنى . أليس هذا الفضول نفسه هو الذى جعلك تصحبنى فى هذه الساعة، ودفعك منذ قليل إلى موضوع الرسالة، وحـدا بك رويدا رويدا إلى معرفة كل هذا الذى أخبرتنى به من جوانب هذه القصة !

كان قـد أسرع من خطاه، وغدت لهجـته قاطعة، وجـعل يضرب الأرض بعصاه زهقا متبرما .

- إننى لا أبحث مثلك عن تفـسيرات للتـفسيرات، فـما أن أعلم بالحادث حتى اقتـصر على معرفته . إن الوقائع الرهيـبة التى أخبرتك بها تعلمنى، إذا كـانت لاتزال هناك حاجة إلى تعليم، بشـاعة الرذيلة التى يردينا فيـها الجسد . وفـيها إدانه للطلاق ولكل ما تفـتق عنه عقل الإنسـان ليتـجنب نتائج مـا جنتـه يداه من أخطاء . أظن أن فى هذا الكفاية، أليس كذلك ؟

- ليس فى هذا الكفاية . إن الواقعة لاتعنينى فى شئ مادمت لا أنفذ إلى سببها . إن معرفة الجانب الخفى فى حياة إيزابيل دسانت - أوريول، والاطلاع على المسالك العطرة الشجية المعقدة

- حذار أيها الشاب ! لقد بدأت تهيم بها !

أه . . هذا ماكنت أنتظره ! الآن المظهر لايكفينى، ولقد أكتفى بالأقوال والإشارات . . أواثق أنت من أنك لاتسئ الحكم على هذه المرأة ؟

إنها فاجرة !

فإذا الغيظ يلهب رأسى، ولم أتمكن من كظمه إلا بمشقة بالغة .

- سيدى القس، إن مثل هذه الألفاظ تدهشنى عندما تخرج من فمك . يبدو لى أن المسيح يعلمنا أن الصفح أجمل من التنكيل .

- فارق بسيط بين التسامح والمجاملة .

- لو قدر له أن يكون مكانك، لما قضى بمثل قضائك .

- أولا، هذه الأمور لاتدرى عنها شيئا . ثم إن المعصوم من الخطايا يستطيع أن يكون حيال الآخرين أكثر تسامحا من ذلك الذى . . أقصد أننا نحن معشر العصاة ليس لنا أن ننتحل الأعذار للمعاصى، كل ما علينا عو أن نشيح عنها بوجوهنا فى استنكار .

- بعد أن نتشممها كما تشممت أنت عطر هذه الرسالة .

- أنت وقح .

وحاد عن الطريق فجأة، وانطلق مسرع الخطى، سالكا طريقا ضيقا قريبا وهو يرمينى على طريقة البارتيين [١] بعبارات جارحة لم أميز منها سوى هذه الألفاظ : تعليم حديث.. سوربونى .. زنديق .. !

وعندما التقينا علي العشاء كان لايزال عابسا، ولكنه ما أن غادرنا المائدة حتى أقبل نحوى مبتسما، وبسط لى يدا شددت عليها وأنا أبتسم أيضا، ولاحت لى السهرة أكثر مللا من المعتاد . كان البارون يئن فى هدوء إلى جانب النار، وكان السيد فلوش والقس ينقلان نردهما دون كلام، وبطرف عينى، رأيت كازيمير، وقد دس رأسه بين يديه، يسيل لعابه فى بطء فوق الكتاب فيمسحه من آن لآخر بحركة من منديله ، أما أنا، فلم أعر لعبة البيزيج من الاهتمام إلا ما لم يسبب لزميلتى خسارة فاضحة مخزية ، وكانت مدام فلوش تلاحظنى وتجزع لضجرى، فكانت تبذل جهداً عظيمًا لتثير الحماسة فى اللعب .

- هيا يا أوليمب ! هنا دورك . هل تنامين ؟

كلا، لم يكن النعاس وإنما الموت الذى أصبحت أشعر بخدره الغامض يجمد أهل الدار، وأنا نفسى كنت أشعر بالقلق بل بالضيق يطبق على صدرى، وجعلت أخاطب نفسى قائلا وأنا أفكر فى إيزابيل : أيها الربيع ! أيتها الرياح الهائلة، أيتها العطور المغرية، أيتها الموسيقى العذبة، لن تصلى إلى هذا المكان أبدا . ماأبشع القبر الذى أفلت منه

---

(١) شعب همجى عاش فى شمال أوربا وآسيا ( ٢٢٥ق م - ٢٢٤ ) كان يتظاهر بالفرار أمام أعدائه ، ثم يرميهم من فوق الجياد بالسهام التى يلقيها من فوق أكتافه موجهة إلى الخلف، ومن هنا جاء المثل الذى يقول : رماه بسهم البارتيين، أى أصابه واختفى . (المترجم)

وإلى أى حياة ياترى انطلقت ؟ إننى أتخيلك هناك فى ضوء المصباح الهادئ وقد وضعت جبينك الشاحب على أناملك الرقيقة، وخصلة من شعرك الفاحم تلامس معصمك وتداعبه . ما بال عينيك تتطلعان بعيداً وما هذا الضجر الذى يعانيه جسدك وروحك وتعبر عنه هذه الزفرة التى لايسمعونها ؟ ومنى أنا أيضا، ودون أن أدرى، أفلتت زفرة هائلة أقرب إلى التثائب أو النحيب ، حتى إن مدام " دسانت - أوريول " صاحت وهى تلقى بآخر ورقة على المنضدة :

- أظن أن السيد " لاكاز " يرغب رغبة شديدة فى النوم .

- ياللمراة المسكينة !

وفى تلك الليلة، رأيت فى المنام حلما لم يكن فى بادئ الأمر سوى تتمة للواقع، فقد رأيت أننى، ولما تنته السهرة بعد، لا أزال فى حجرة الاستقبال، إلى جوار أهل الدار، ولكن جماعة لايفتأ عددها يزيد،كانت تنضم إليهم، مع أننى لم أر أحداً آخر يدخل علينا، وتعرفت كازيمير جالسا إلى المنضدة أمام إحدى الألعاب . وكان ثمة ثلاثة رجال أو أربعة مائلين على اللعبة، وكان الحاضرون يتحدثون بصوت خفيض، بحيث إننى لم أتمكن من تمييز عبارة واحدة مما يقولون، ولكننى فهمت أن كل شخص يخبر جاره بأمر عجيب فيثير دهشته.

وكان الاهتمام موجها إلى مكان ما بالقرب من " كازيمير " حيث تعرفت فجاة إيزابيل دسانت أوريول " جالسة إلى المائدة ( كيف لم ألاحظها قبل ذلك ) كانت وحدها ترتدى ثيابا بيضاء وسط الحلل

القائمة، ولاحت لى فى بادئ الأمر جـميلةساحرة، شبيـهة بالصورة، ولكننى سرعـان ما أخذت بجمود مـلامحها وثبـوت نظرتها وأدركت فجأة ما كان يهمس به القوم .

لم تكن التى أمامنا إيزابيل الحـقيقية، وإنما دميـة تشبهها يضـعونها مكانها أثناء غياب الأصل، وعندئذ بدت لى هذه الدمية قبيحة دميمة، وضاق صدرى أمـام مظهر غبائهـا المتحذلق، كان الناظر يظنـها ساكنة تماما، وأنا أحدق النظرفيها رأيتها تميل فى بطء إلى جانب، تميل وتميل حتى كـادت تسقط، فانطلقت الآنسة " أوليـمب " من الطرف الآخر لحجرة الاستقبال، ومالت حتى بلغت الأرض، ورفعت غطاء الكرسى الموسد، وملأت زنبكا جعل يصدر صريرا غـريبا، فإذا بالمسخة تعتدل وتحرك ذراعيها حركة آلية غريبة تثير الضحك، ثم نهض الجميع عندما حان وقت الانصـراف، تاركين خلفهم إيزابيل الزائفة وحـدها، وكان كل فرد من المنصرفين يحييها بانحناءة على الطريقـة التركية، فيما عدا البارون الذى اقترب منها دون مراعاة، وأمسك شعرها المستعار بقبضته وطبع على جبينها قبلتين رنانتين وهو يضـحك مقهقها، وما أن خلت حجرة الاسـتقبال من الزائرين - وقـد رأيت جمهورا غفـيرا يخرج - وأطبق الظلام، حتى رأيت، نعم رأيت رغم الظلام، رأيت الدمية وقد شحب لونها، وانتـفض بدنها، وسرت فيها الحـياة، كانت تنهض فى بطء، فإذا بهـا الآنسة دسانت أوريول بشـحمها ولحـمها، فتـوجهت نحوى بلا ضـرضاء، وسرعـان ماشعرت بذراعـيها الفـاترتين تطوقان عنقى، واستيقظت على حر أنفاسها وهى تقول لى :

- إننى بالنسبة لهم غائبة، أما بالنسبة لك فإننى حاضرة .

أنا لست متطيرا ولا هيابا، وإذا كنت قد أشـعلت شمعتى، فذلك لكى أصـرف عن عـينى وعن رأسى هذه الصـورة الماثلة أبدا، ولقـد تجشمت فى سـبيل ذلك مشقة كبـيرة، وعلى الرغم منى كنت أتنصت على كل صـوت، فعـساها تكون مـوجودة . .وعـبثـا أخذت نفـسى بالقراءة، فلم أتمكن من صرف انتباهى عنها إلى أى شئ آخر وهكذا، وأنا غارق فى التفكير فيها، عاودنى النوم حتى الصباح .

# ٦

وهكذا فترت الحماسة التى لازمت فضولى ، فضول العاشق، ولم أتمكن من إرجاء رحيلى أكثر من ذلك بعد أن أخبرت به أهل الدار مرة أخرى، وكان ذلك اليوم هو آخر أيامى فى الكارفورش، وفى ذلك اليوم . .

نحن الآن على الغداء فى انتظار البريد الذى اعتادت « ديفلين » أن تحمله إلينا قبل تقديم الحلوى بقليل ، وكما سبق أن قلت، إنها كانت تسلمه لمدام فلوش، فتتولى هذه توزيع الرسائل وتقديم جريدة « الحوار » إلى السيد فلوش الذى يختفى خلف صفحاتها حتى نغادر المائدة، وفى ذلك اليوم تعلق مظروف رسالة بنفسجى اللون بطرف الجريدة، وانفصل عن الحزمة وطار حتى حط فوق المائدة بجوار طبق مدام فلوش، وتمكنت من التعرف على الخط الكبير غير المنظم الذى دق له قلبى مساء أمس، وتعرفت عليه أيضا مدام فلوش فيما يبدو، فأتت حركة سريعة لتغطى المظروف بطبقها، إلا أن الطبق اصطدم بكوب فحطمه وانتشر النبيذ فوق المفرش، وقد أحدث ذلك ضوضاء

عاليـــــة، فانتهـزت مـدام فلـوش ذلك الاضطراب وأدخلت المظروف فى قفازها .

وقالت فى سذاجة طفل ينتحل عذرا :

- لقد أردت أن أسحق عنكبا .

( وكانت لا تفـرق بين العناكب وغيرها من الحشـرات التى تخرج فى بعض الأحـيان من سلة الفـواكه ) ونهـضت مدام سـانت أوريول ملقية بمنشفتها دون طى فوق المائدة، وقالت فى لهجة حادة :

- أراهن أنك أخطأت هدفك . إلحقى بى فى حجرة الاستقبال .

معذرة أيها السادة ، فقد عاودنى المغص .

وانتهى العشـاء فى صمت، ولم ير السيد فلوش شـيئا، ولم يدرك السيد سانت أوريول شيئا، وكذلك كان القس والآنسة فيردور يسلطان النظر كُلّ فى طبقه، ولو لم يتمخط كازيمير، لرأيته يبكى .

كان الجـو فاترا، وأحـضرت الآنسـة فيـردور القهـوة إلى الشـرفة الصغيرة التى تمثلها البسطة المفضية إلى حجرة الاستقبال، كنت بمفردى أتناول القـهـوة مع الآنسـة فيـردور والقس، وبلغت آذاننـا ضوضـاء وأصوات آتية من حجرة الاستقبـال التى حُبست فيها السيدتان، ثم لم نعد نسـمع شيئـا، فقد صعـدت السيدتان . . وعندئذ، لو صـدقتنى الذاكرة، دارت مشاحنة شجرة الزان ذات أوراق البقدونس .

كـانت الآنسة فـيـردور والقس فى حالة حـرب دائمـة، ولم تكن المعارك بينهما جادة خطيرة، فقد كان القس يبغى الضحك والمزاح، إلا أن أكثر ما كـان يثير سخط الآنسة فيردور، هى لهـجة القس الساخرة التى كان يتـحدث بها . كانت تعرض نفـسها لضرباته فـيكيل لها فى الصميم، وكان لا يكاد يمضى يوم واحد دون أن ينشب بينهما صدام، كان القس يسميه مشاحنة، فقد كان يزعم أن صحة العانس فى حاجة إلى مثل هذه المشاحنات، فكان يفعل بها مـا يشاء، وهى تطيعه وتنفذ مـا يريد، أشـبه بكلـب مطيع، ولـم يكن فى ذلك شـرسـا أو ميـالا للإيذاء، مع أن تصرفـاته معها لم تكـن تخلو من المكر والخبث وإثارة الأعصـاب، كان هذا يشـغل أوقاتها ويملأ الحـياة من حولـهما بهـجة ومرحا .

كانت الحـادثة التى وقعت أثناء تناولنا الحلوى قد أثارت أعـصابنا، وحاولت أن أصرف الأذهان عنها، وعندمـا كان الأب يصب القهوة، عثرت يدى على حـزمة من أوراق الشجر داخل جـيب سترتى، كنت قد قطفتها من شجرة غريبة تنمو بجوار الباب الحديدى للمدخل، لكى أسـأل الآنسة فـيـردور عن اسـمهـا، ولـم يكن ذلك لأننـى شغـوف بمعرفتهـا، ولكن لأن الآنسة فيردور كانت تُسَرُّ عندما يلجـأ إليها أحد ليستفسر منها عن أمر من الأمور .

فقد كانت تهتم بعلم النبات، وكانت فى بعض الأيام تخرج لجمع الأعشاب وقد علقت فوق كتفيها القـويتين علبة خضراء، فتبدو غريبة الشكل، وتقضى بين أعشابها ومجـهرها ما تسمح به أعمال المنزل من

فــراغ . . وعلــى ذلك فـقد تناولت الآنسة فـيردور الغـصن وقالت دون تردد :

– هذا غصن من شجرة الزان ذات أوراق البقدونس .

فعقبت قائلا :

– ياله من اسم غريب! ومع ذلك فإن هذه الأوراق المدببة لا علاقة لها بتاتا بأوراق . .

كان القس منذ لحظة يضــحك فى خبث، فقال دون أن يعـير الأمر أى اهتمام :

– هكذا يسمون فى الكارفورش شجرة « الفاجوس بيرسيسيفوليا » . فانتفضت الآنسة فيردور وعقبت قائلة :

– لم أكن أظنك عارفا بعلم النبات إلى هذا الحد .

– كلا، ولكننى ملم إلى حد ما باللغة اللاتينية .

ثم مال علّى وأضاف قائلا :

– إن هــؤلاء السيــدات يقعن ضحيــة خطــأ لا دخل لــهن فيه . إن كلمة بيرســيكوس يا آنستى العزيزة، معناها الخــوخ لا البقدونس، وعلى ذلك فإن « الفاجوس بيــرسيسيفوليــا » التى لاحظ السيد لاكاز أوراقها، المدببة إنما هى « شجرة الزان ذات أوراق الخوخ » . .

كان وجه الآنسة فيردور قــد امتقع لونه، وكان الهدوء الذى أظهره القس قد أهاج أعصابها إلا أنها تمكنت أن تقول دون أن تنظر إليه :

– إن علـم النبات الحقيقى لا يهتم بالشواذ ولا بالمسوخ .

ثم أفرغت فتجانها دفعة واحدة ومضت كالريح .

كان القس قد ضم شفتيه فأصبح فمه مثل مؤخرة الدجاجة، وجعلت تخرج منه أصوات أشبه بالضراط، وبذلتُ مجهودا كبيرا حتى لا أضحك .

- هل تكون شرسا هكذا يا سيدى القس ؟

- كلا، كلا . . إن هذه الآنسة التى لا تؤدى كفايتها من التمرينات، فى حاجة إلى أن نلهب لها دمها، وهى تميل إلى العراك، تصور أننى لو مكثت ثلاثة أيام دون أن أناوشها لأتت بنفسها وبدأت النزال، ثم إن وسائل اللهو فى الكارفورش ليست كثيرة !

وعندئذ شرع كلانا، بلا كلام، يفكر فى رسالة الغداء، ثم بادرت بسؤاله قائلا :

- هل عرفت ذلك الخط ؟

فهز كتفيه وقال :

- قبل الآن، أو بعده بقليل، تصل مثل هذه الرسالة إلى الكارفورش مرتين كل عام، وذلك بعد سداد إيجارات المزرعة، وبها تعلن عن حضورها :

فصحت قائلاً :

- أو ستحضر هى ؟

- هون عليك ! هون عليك فلن تراها .

- ولماذا لا أستطيع أن أراها ؟

- لأنهـا تحضـر فى منتـصف الليل، وترحل فى الحـال، ثم إنهـا تتجنب النظرات . . ثم حـذار مـــن جراسيـان، كـــان يحدق النظر فى وجهى : فلم أحرك ساكنا، فاستطرد فى لهجة المحتد :

- أنت لم تعمل حسابا لما قلـت لك، وهذا يبدو واضحا، ولكننى أنذرتك، فافعل ما بدا لك، وأئتنى غدا بالأخبار .

ونهض وتركنى دون أن أتمكن من مـعرفة هل كان يحـاول أن يحد من فضولى أم كـان بالعكس، يثيره ويلهبـه، وحتى المساء ظل فكرى الذى لا أحب أن أصف اضـطرابه، ظل لا شـاغل له إلا انـتظارها . أمن الممكن أن أكـون وقعت فى حب إيزابيل؟ كـلا، بالطبع، ولكننى تماديت فى لهوى حـتى تحرك قلبى بمثل هذا العنف، كـيف لا يختلط على الأمر ؟ وقد صادفت فى فضولى كل ما يصاحب الغرام من شوق وارتباك ولهفة، ولم تزدنى كلمات القس الأخيرة إلا حماسة وتصميما، ماذا يسـتطيع أن يصنع بى « جراسيـان » ؟ لسوف أسير فـوق الشوك والجمر إن دعا الأمر .

وما من شك فى أن أمرًا ما غيـر عادى كان يُدبر، ففى ذلك المساء لم يقترح اللعب أحـد ، وما أن فرغنا من العشـاء، حتى بدأت مدام سانت أوريول تشكو مما كانت تطلق عليه « مغصا »، وإذا بها تنسحب بلا استـئذان، وتجـهز لها الآنسـة فيـردور شرابا ساخـنا، وما هى إلا لحظات حتى طلبت مدام فلوش مـــن كـــازيمير أن يذهب لينام، وما أن انصرف الغلام حتى قالت لى :

– أعتقد أن السيد « لاكاز » يرغب فى النوم أيضا، فيبدو أن النعاس يداعب أجفانه، ولما لم أبادر بالإجابة على تعليقها أضافت قائلة :

– آه . . أعتقد أنه ما من أحد منا سيطيل السهرة أكثر من ذلك .

ونهضت الآنسة « فيردور » لتشعل الشموع، وسرت فى أثرها أنا والقس، فرأيت مدام فلوش تميل على زوجها الذى كان يغط فى نومه فوق المقعد بالقرب من الموقد، فنهض من فوره ثم سحب البارون من ذراعه فأطاعه هذا الآخر كما لوكان يدرك معنى تلك الحركة، وعلى بسطة الطابق الأول كان كل منا يحمل شمعة، فانصرف كلٌّ إلى حجرته، وعندئذ قال لى القس بابتسامة غامضة :

– طابت ليلتك ! وهنئت بنومك .

فأغلقت باب حجرتى، ثم مكثت أترقب . لم تكن الساعة قد تجاوزت التاسعة، وسمعت مدام فلوش وهى تصعد إلى حجرتها، ثم سمعت الآنسة فيردور، وحدثت على بسطة السلم مشادة حامية بين مدام فلوش ومدام سانت أوريول التى كانت قد خرجت من حجرتها، وكانتا بعيدتين عنى بحيث لم أتمكن من تمييز ما تبادلتاه من الألفاظ، ثم سمعت ضوضاء أبواب تغلق، ثم لم أعد أسمع شيئا .

وتمددت فى فراشى حتى أنصرف إلى التفكير، فاستعدت التمنيات الطيبة بالنوم الهانئ التى ودعنى بها القس، وتمنيت لو عرفت هل تهيأ هو للنوم أم أنه ترك الحبل على الغارب للفضول الذى أنكره أمامى ؟ ولكنه كان يرقد فى جناح آخر من القصر يقع فى الطرف المقابل

لحجرتى، ولم يكن هناك من سبب وجيه يبرر انتقالى إليه، ومع ذلك فإينا سيكون حرجا لو فاجأ كل منا صاحبه فى الدهليز ؟ وبينما أنا غارق فى التفكير ، وقع لى حادث سخيف مخجل لا يمكننى أن أصرح به، فغلبنى النوم .

أجل، فإن الإجهاد الذى تملكنى من فرط الانتظار بعد الليلة السابقة التى قضيتها فى الأرق والقلق، تغلب على رغبتى وحرصى فى البقاء ساهرا متيقظًا، فاستغرقت فى نوم عميق .

واستيقظت على طقطقة الشمعة وهى توشك على النفاد، أو ربما استيقظت على حركة هزت أرضية الدهليز فى صوت مكتوم سمعتها أثناء نومى، ما من شك فى أن أحدا سار فى الدهليز، فاعتدلت قاعدا، وفى تلك اللحظة انطفأت شمعتى، فمكثت فى ظلام الليل حائرا، ولم يكن معى ما أستضيئ به سوى بضعة أعواد من الثقاب، فحككت أحدها لأستبين الوقت من ساعتى، كانت الحادية عشرة والنصف . . فأرهفت سمعي . . ولكنني لم أعد أسمع شيئا وقمت أتحسس طريقى حتى بلغت باب الحجرة ففتحته .

كلا، لم يكن قلبى يدق رجفة أو اضطرابا ، بل كنت أشعر أننى خفيف الجسم، رابط الجأش، مطمئن النفس، متفتح الذهن، حازم الأمر.

وفى الطرف الآخر للدهليز كانت ثمة نافذة ترسل ضوءها فيصلنى لا رائقا صافيا كضوء الليالى الهادئة، وإنما ضوءاً خفاقا ينجلى حينًا وحينا يستتر، فقد كانت السماء تمطر، وكانت الرياح أمام القمر تحمل

سحبا كثافا، وكنت قد خلعت حذائى، فتقدمت بلا ضوضاء . . ولم أكن بحاجة إلى إمعان النظر لأبلغ المكان الذى كنت أعددته للمراقبة، وكان يمثل حجرة صغيرة مهجورة بجوار حجرة مدام فلوش، حيث كان يدور الهمس بعيدا عن الأنظار، وكان السيد فلوش يشغل هذه الحجرة فى بادئ الأمر ( ولكنه الآن أصبح يفضل جوار كتبه على جوار زوجته ) وكان الباب الموصل إليها قد انفتح قليلا، وكنت قد أحكمت إغلاقه بالمزلاج حتى أتجنب المفاجأة، فتأكدت أننى أستطيع أن أنظر بعينى من تحت إطار الباب، ولكى أبلغ ذلك، كان لابد لى أن أجلس فوق خزانة كنت قد دفعتها قريبا من المكان .

وفى تلك اللحظة كان يتسرب من تلك الفتحة بصيص من النور ينعكس على سقف الحجرة الأبيض فيهدينى ويرشدنى - ووجدت كل شئ على حاله التى تركته عليها فى النهار- فصعدت فوق الخزانة وجُلت ببصرى فى أرجاء الحجرة المجاورة . .

كانت إيزابيل سانت أوريول موجودة .

كانت أمامى على بعد خطوات منى . . جالسة على كرسى منخفض بلا مسند، سبّب وجوده دهشتى فى تلك الحجرة العتيقة، سيما وأننى لا أذكر أننى رأيته فيها عندما دخلتها أحمل الزهور، كانت مدام فلوش تجلس غائصة فى مقعد موسد كبير، وكان إلى جوار الكرسى منضدة صغيرة، عليها مصباح يلقى عليها وعلى الآنسة « إيزابيل » ضوءاً ضعيفاً، وكانت إيزابيل تدير لى ظهرها، وكانت مائلة إلى الأمام تكاد أن تكون راقدة فى حجر خالتها العجوز بحيث

لم أتمكن فى بادئ الأمر من رؤية وجهها، وسرعان ما رفعت هامتها، وكنت أتوقع أن أراها وقد تقدمت فى السن، مع أننى لم أكد أتعرف فى وجهها على تلك الفتاة التى طالعتها فى الصورة، وليس معنى هذا أنها كانت أقل جمالاً من الصورة، بل لقد كان جمالها من نوع آخر، جمالا أقرب إلى عالم الأرض ودنيا البشر، فإن تلك البراءة الملائكية التى تطالعها فى الصورة قد زالت ليحل مكانها وجه ناعس ساهم عاطفى، وارتسمت فى طرفى شفتيها تغضنات تنم عن اشمئزاز لا أدرى كنهه، بينما هى فى الصورة فاغرة الشفتين، وكانت تتدثر بمعطف سفر ضد الماء من قماش شائع فيما يبدو، ولما كان المعطف مرفوعا من ناحية، فقد أبان عن ثوب أسود لامع تدلت عليه يد تعرت من قفازها تمسك بمنديل، وكانت هذه اليد تبدو شاحبة هزيلة بطريقة غريبة، وكان رأسها مكسواً بغطاء من اللباد والريش المموج، يحوطه شريط من الحرير تدلت من تحته خصلة من الشعر الفاحم، ما أن تميل برأسها حتى تنطرح إلى الأمام فتحجب وجنتيها. كان الناظر يظنها فى لباس الحداد لولا شريط لامع أخضر يحيط برقبتها، ولم تكن تنطق بكلمة لا هى ولا مدام فلوش، إلا أنها كانت بيدها اليمنى تربت على ذراع مدام فلوش وتجذبها نحوها، ثم ما لبثت أن انهالت عليها لثما وتقبيلا .

وبعد ذلك رأيتها تهز رأسها، فتتمايل خصلات شعرها، وتهفهف ذات اليمين وذات اليسار، عندئذ قالت وكأنها تعقب على عبارة قالتها من قبل :

- كل الوسائل، لقد جربت كل الوسائل، أقسم لك . .

فقاطعتها العجوز المسكينة وهى تضع يدها فوق جبين الفتاة :

- لا تقسمى يابنيتى المسكينة، إننى أصدقك بلا قسم .

كانت كل منهما تتحدث فى صوت خـفيض أشبه بالهمس كما لو كانتا تخشيان أن يسمعهــما أحد ، واعتدلت مدام فلوش فى جلستها، ودفعت ابنة أختها فى رقــة ثم استندت على ذراعى المقعد، ونهضت، ونهضت الآنسة سانت أوريول بالمثل .

وبينما كانت العــجوز تتجــه نحــو الخزانة التــى كــان « كازيمير » قد أخرج منها الصورة أول أمس ، تقدمت الفتاة فى نفس الاتجاه بضع خطوات، وتوقفت أمام منضدة صغيــرة مسندة إلى الجدار وعليها مرآة كبيرة، وبينما كانت العجوز تنقب فى أحد الأدراج، لمحت الآنسة فى المرآة الشريط الزمــردى الذى يطوق عنقها فبادرت بنــزعه على عجل، ولفّته حــول أصبعهــا . . وقبل أن تلتفت مدام فلوش، كــان الشريط الصارخ قد اختــفى، وكانت إيزابيل قد اتخذت هيئة التــفكير والتأمل وتدلت يداها إلى الأمام متشابكتين، وغابت نظرتها .

وكانت مدام فلوش لا تزال تمسك فى إحدى يديها بحزمة المفاتيح، وفى يدها الأخــرى لفة صــغيــرة من الأوراق أخرجــتهــا من الدرج، وكانت تهم بالجلوس فى مــقعدها الموســد، عندما فتح البــاب المواجه للباب الذى كنت أقف عنده، فــجأة وعلى سعتــه، فكدت أصيح من شدة الدهشــة، فقد ظهــرت البارونة فى إطار الباب شــعثاء مكشــوفة الجبين مخضبة الوجه فى ثياب فضفاضة وعلى رأسها غطاء ضخم من

الريش، وكانت تحمل شمعدانا ذا ست شعب، أخذت تهزه هزا عنيفا، وكانت كل شموعه مشتعلة فتغمرها بضوء خفاق، وتنشر على الأرض قطرات من النور ولما كانت منهكة القوى، فقد أسرعت بوضع الشمعدان فوق المنضدة الصغيرة التى تحمل المرآة، ثم عادت فى أربع خطوات خفيفة إلى مكانها فى إطار الباب، ثم تقدمت من جديد فى خطى منتظمة، وبطريقة مهيبة تشيح بيدها المثقلة بالخواتم الضخمة، وما أن بلغت منتصف الحجرة، حتى توقفت والتفتت مرة واحدة ناحية ابنتها، وقالت وهى لا تزال متوترة الحركة، وفى صوت حاد يكاد يخترق الجدران :

- إليك عنى، أيتها البنت العاقة ! لن أتأثر لدموعك، وشكاياتك قد ضلت سبيلها إلى قلبى حتى الأبد .

جاء هذا القول بطريقة خطابية أشبه إلى الصراخ، فى نغمة واحدة، وفى هذه الأثناء كانت « إيزابيل » قد ارتمت عند قدمى أمها، وأمسكت بطرف ثوبها وجذبته كاشفة عن حذاءين صغيرين من الحرير الأبيض، وجعلت تضرب بجبينها الأرض التى كان يكسوها بساط فى ذلك الموضع، إلا أن مدام سانت أوريول لم تخفض نظرها لحظة واحدة، واستمرت تصوب إلى الأمام نظرات حادة جامدة كصوتها، ثم أردفت تقول :

- أو لم تكتفى بأنك جلبت الشقاء على أهلك، فتريدين أن تتمادى فى . .

وهنا خفض صوتها على حين بغتة، فالتفتت ناحية مدام فلوش،

وكـانت هذه قـد تضـاءلت وأخذت تـرتجف فى مقـعـدها الموسـد، وخاطبتها قائلة :

- أما أنت يا شقيقتى، فلو كان الضعف لا يزال . .

ثم استدركت قائلة :

- لو دفعك ضعفك الآثم إلى النزول مـرة أخرى على تضرعاتها، ولو كان ذلك بقـبلة، ولو كان ذلك بأقل عطاء، فـتأكدى، كـما أنك متأكدة أننى شقيقتك الكبرى، أننى سأهجرك، ولـن ترى لـى وجهـا ما حييت .

كنت كأننى فى مسرح، ولكن لما كـانت هاتان السيدتان لا تتمكنان من ملاحظة نفسيهمـا، فلمن ياترى كانتا تمثلان هذه المأساة ؟ وكذلك كانت الفتـاة مبالغة فى حركـتها وإيماءاتها مـتكلفة فيها مـثل أمها . . وكانت الأم تواجهنى بحيث كنت أرى إيزابيل من ظهرها، وقد ركعت واتخذت وضع « أستيـر (١) » وهى تتضرع، وإذا بى أرى قـدميـها فوجـدتهما منتـعلتين حذاءً من الحرير فـى لون الخوخ . هكذا بدا لى تحت طبقة الوحل التى كانت تعلوه، وكانت ترتدى جوربا أبيض رأيته أعلى الحذاء ترك عليه طرف الثوب المبلل الموحل عندما رفع بقعة قذرة . . وعلى حين فـجأة، دوّى فى أعـماقى كل ما تحـكيه هذه الأشـياء من

(١) زوجة الملك أسوويروس . تمكنت بتضرعها وتوسلها إلى هذا الملك من الحصول على عفو شامل عن اليهود أهل ملتها، ثم هى بطلة إحدى مسرحيات راسين ( المترجم ) .

مغـامـرات وشقـاء دويّا فـاق فى قـوته شتائـم العجوز، وإذا بعـبرة تخنق حلقى، فـقررت أن ألحـق « بايزابـيل » فـى الحديقـة، عندمـا تغادر القصر .

وفى تلك الأثناء كـانت مـدام فلوش قـد تقـدمت ثلاث خطوات مقتربة من مقعد مدام سانت أوريول :

- هيـا، أعطينى هذه الأوراق الماليـة . أتظنين أننى لا أراها وأنت تفركينها تحت قفازك ؟ أتظنيننى عمياء أو مجنونة ؟ أعطينى هذه النقود قلت لك !

وما أن استولت على النقود حتى قربتها من لهب شمعة من شموع الشمعدان بطريقة مسرحية وهى تقول :

- إننى أفضل أن أقوم بإحـراقها جميعـا ( هل يجب أن أقول إنها تفعل ذلك ؟ ) على أن أعطيها منها فلسا واحدا .

ودست الأوراق المالية فى جيبها، واستأنفت إلقاءها :

- أيتهـا البنت العاقة . . أيتـها البنت الجـاحدة . إن الطريق التى سلكتها أساورى وعقدانى ستجعلين خواتمى أيضا تسلكها !

وبينما كـانت تقول ذلك، هزت يدها المبسوطة فـى حركة خفـيفة فسقط منهـا خاتمان أو ثلاثة فوق البساط، فـما كان من إيزابيل إلا أن انقضّت عليها أشبه بكلب جائع ينقض على العظام .

- انصرفى الآن : لم يعد بيننا ما يقال، وأنا بريئة منك . .

وتناولت مطفأة للشموع من فوق المـنضدة، وجعلت تطفئ الشموع الواحدة تلو الأخرى ثم انصرفت .

وعندئذ بدت الحجـرة مظلمة، وفى تلك الأثناء كـانت « إيزابيل » قـد نهضت، فـمررت أصـابعهـا على وجنتـيهـا وطرحت إلى الوراء خصلاتها المتناثرة وأصلحت من وضع قبعتها، وهزت جسمها فعدلت المعطف وكان قد انحـسر عن كتفيها قليـلا ثم مالت على مدام فلوش لتوديعها، ولاح لى أن المرأة المسكينة كانت تحـاول أن تكلمها، غير أن صوتها كان من الضعف بحيث لم أميز منه شيئا، فما كان من إيزابيل إلا أن تناولت إحدى يدى العجوز المـرتجفتين وضغطت عليها بشفـتيها دون أن تنبس بحـرف واحد، ومـا هى إلا لحظة، حـتى انطلقت إلى الدهليز فى أثرها .

وفى اللحظة التى كـنت أهبط فيـهـا السلم، أوقـفنى صوت مـا، فعرفت فـيه صوت الآنسة « فيردور » الـتى لحقت بها « إيزابيل » فى المدخل، ورأيتهما وأنا أميل على الدرابزين، كانت « أوليمب فيردور » تمسك بيدها مصباحا صغيرا، وكانت تقول :

- هـل سترحلـين دون أن تقبليــه ؟ - وفهمت أنها تتحدث عــن « كازعير » - ألا تريدين أن تلقى عليه نظرة ؟

- كـلا، يالولى، إنى متـعجلة لـلغاية، لا يجب أن يعـرف أننى حضرت .

وحل صمت وحركات لم أدرك معناها فى بادئ الأمر، ثم اضطرب المصباح عاكسا ظلالا متراقصة .

وتقدمت الآنسة فيردور، وتقهقرت إيزابيل بضع خطوات، ثم سمعت :

- بلى، بلى، ذكرى لك منى . لقد احتفظت به منذ زمن طويل، أما الآن وقد تقدمت بى السن، فماذا أفعل به ؟

- لولى، لولى . أنت خير ما أتركه هنا .

فضمتها الآنسة « فيردور » بين ذراعيها :

- آه ! ياللمسكينة ! إنك مبللة تماما .

- إنه المعطف فقط . . ليس هناك من خطر . دعينى أنصرف بسرعة .

- خذى معطفا يقيك المطر على الأقل .

- لقد كف المطر .

- المصباح .

- ماذا سأصنع به ؟ إن العربة قريبة جدا . وداعا .

- الوداع، يا ابنتى المسكينة . أتمنى على الله أن . .

وغابت بقية العبارة فى النحيب، ومكثت الآنسة فيردور بضع لحظات مائلة بجسمها فى ظلام الليل، وصعدت هبة ريح رطبة من الخارج إلى بير السلم، ثم سمعت الآنسة فيردور تدفع المزلاج فى الباب الذى كانت قد أغلقته . .

لم يكن بوسعى أن أمر أمام الآنسة « فيردور »، وكان « جراسيان » يحمل معه فى كل مساء مـفتاح باب المطبخ، وكان هناك باب آخر فى الطرف الآخر من القصر كـان من السهل أن أخرج منه، ولكن الطريق إليه كان طويلا، فقبل أن أبلغه تكـون « إيزابيل » قد لحقت بعربتها . آه ! لو أناديها من النافذة . . وأسرعت إلى حجـرتى . كان القمر قد عاد إلى الاحتجاب، فـانتظرت لحظة أترقب صوت الخطى فهبت ريح شديدة، وبينما كان « جراسيان » يعود إلى المطبخ . سمعت من خلال حفيف الأشجار المضطربة عربة إيزابيل وهى تنطلق مبتعدة .

# ٧

كنت قد أجلت كل مصالحى طويلا، فما أن عدت إلى باريس، حتى استولت علىّ المشاغل الكثيرة التى صرفت إليها ذهنى واستأثرت بتفكيرى، وكان القرار الذى اتخذته بخصوص عودتى إلى الكارفورش فى الصيف القادم قد خفف من حدة أسفى لأننى لم أتماد فى المغامرة التى كنت قد بدأت أنساها، عندما تلقيت فى نهاية يناير إشعارا مزدوجا، فقد توفى السيد فلوش ولحقت به زوجه بعد فترة قصيرة، وعلى المظروف تعرفت على خطة الآنسة « فيردور » ولكننى أرسلت إلى « كازيمير » بعبارات الأسف والمشاركة المألوفة، وبعد أسبوعين تلقيت هذه الرسالة :

عزيزى السيد جرار :

( لم يرتض الطفل أن يدعونى بلقب العائلة ) .

وكان قد سألنى قد إحدى نزهاتنا، وبالتحديد فى نفس اليوم الذى بدأت أحدثه فيه بلا كلفة، قال :

- ما اسمك ؟

- ولكنك تعرفه، يا كازيمير، اسمى السيد « لاكاز » .

- فعاد يقول :

- كلا، لا أريد هذا اللقب، وإنما أريد اسمك أنت ؟

« جـميل منك أن تكتب لى، وكـان خطابـك جـميـلا، لأن الكارفورش الآن أصـبحت حـزينة، لقد أسيبت جدتى يوم الخـميس بوعكة، ولم يعد بـاستطاعتـها أن تغادر حـجرتها، هذا ولقـد عادت والدتى إلى الكارفـورش، ورحـل الأب عنهـا، لأنه عُـيِّن خـوريـا فى « بروى »، وكان مـوت خالى وخالتى بعد ذلك، مـات خالى أولا، وكان يكن لك حبا كبيـرا، وفى يوم الأحد التالى ماتت خالتى بعد أن مرضت ثلاثة أيام، لم تكن أمى موجودة، وكنت وحدى مع « لولى » و « ديلفين » زوجة جراسيان، وهى تحبنى كـثيرا، ولقد كان أمرا يبعث على الحـزن والأسى لأن خالتى لم تكن تريد أن تفـارقنى، ولكن لم يكن هناك مفر من ذلك، وأنا الآن أنام فى حجرتى بجوار « ديلفين » لأن « لولى » تركتنى إلى أخ لها استـدعاها فى « الأورن » وجراسيان أيضا لطـيف معى للغاية، ولـقد علمنى طريقـة الغسل [1] وتلقـيح الأشجار وهو شئ يسلينى، ثم أننى أساعد فى تحطيم الأشجار .

(١) نقل الشتلة من الحوض إلى الأرض الدائمة ( المترجم ) .

أنت تذكر الورقة التى كتبت لى فيها تعهدك، عليك بنسيانها، فلن يكون هنا أحد لاستقبالك، إلاّ أنه يحـزننى كثيرا ألا أراك مرة أخرى، لأننى أحببتك حبا صادقا . ولن أنساك .

صديقك الصغير كازيـمير

لم أكتـرث كثيـرا لوفاة السـيد فلوش وزوجه، لكـن هذه الرسالة الساذجة حركت مشـاعرى، وكنت فى ذلك الوقت مشغولا، إلا أننى أخـذت على نفسى عـهـدا بأن أخرج فى جـولة استـكشافـية حـتى الكارفورش، ما أن تبدأ إجازة عيد الفصح . ماذا يهمنى فى ألا يكون هناك من يستقبلنى ؟ لسوف أنزل فى «البون - ليـفيك» واستأجر عربة . هل هناك حاجة إلى أن أضيف بأن احتمال لقاء « إيزابيل » الغامضة كان يجـذبنى إليها بقـدر شفقـتى على الغلام ؟ كانت بعض فـقرات الرسالة غامضة بالنسبة لى، ووجدت مشقة فى ربط الحوادث : مرض العـجوز، ووصـول إيزابيل إلى الكارفـورش، ورحيل القس، ووفـاة العجوزين التى لم تحضرها ابنة الأخت، وسفر الآنسة « فيردور » . . أينبغى ألا نرى فى ذلك كله سوى سلسلة من الأحـداث العرضية، أم كان ينبـغى أن أبحث عن صلة تربط بينها ؟ لو حاولت، فـلا كازيمير سيفيدنى، ولا القس سيخبرنى .

فاضطررت للانتظار حتى شهـر أبريل، وما أن كان اليوم الثانى من إجازتى، حتى سافرت .

وعلى مـحطة « بروى » لمحت القس « سانتـال » يتهـيأ ليـستـقل قطارى، فناديته، فأجابنى قائلا :

- ها أنت قد عدت إلى البلدة مرة أخرى .

- لم أكن أتصور فعلا أننى سأعود إليها بهذه السرعة .

- وصعدت إلى ديوانى، وكنا فيه وحدنا .

- إيه ! لقد حدثت أمور جديدة بعد زيارتك .

- نعم، لقد علمت أنك عُيِّنت خوريا فى « بروى » .

- دعك من هذا .

ومد يده فى حركة فهمتها، وقال :

- هل وصلك إشعار ؟

- نعم، وفى الحال بعث بعزائى إلى تلميذك، فهو الذى أخبرنى، ولكنه لم يخبرنى إلا بالنزر القليل .

ولقد هممت أن أكتب لك لأسألك بعض التفاصيل .

- كان يجب أن تفعل ذلك .

فأضفت ضاحكا :

- لقد تصورت أنك قد لا ترحب باطلاعى على شىء .

ولكنه كان يبدو أقل تكتما مما كان أيام الكارفورش، وبدا عليه الاستعداد للكلام :

- هل تصدق أن كل ما يجرى هناك الآن يبعث على الأسى والحزن ؟ إن جميع المرات سوف تمر بنفس المحنة .

ولكننى لم أدرك قصده من أول وهله، إلا أننى تذكرت عبارة "كازيميز " عندما قال لى : إننى أعاون فى تحطيم الأشجار . . فسألته فى سذاجة :

- ولماذا يفعلون ذلك ؟

- لماذا ؟ آه ياسيدى الطيب . إذن سل عن ذلك الداءنين، ثم رن الأمر لا يعنيهم، بل إن كل شىء يجرى بلا علمهم، إن الضيعة غارقة فى الديون والآنسة سانت أوريول تسلب ما وسعها سلبه .

- وهل هى هناك ؟

- كأنك لا تدرى !

- لقد اتنتجت ذلك فقط من بعض عبارات من ...

- لقد ساءت الأمور منذ وصلت هى .

وصمت لحظة، ولكن لم يستطع أن يقاوم حاجته إلى الكلام فى هذه المرة، بل نه لم يعد يستمع إلى أسئلتى . ووجدت أن، من الأفضل ألا أوجه إليه سؤالا : فاستطرد يقول :

- كيف علمت هى بشلل والدتها ؟ هذا ما لم أستطع له تفسيراً . عندما علمت أن البارونة العجوز لم تعد تستطيع أن تفارق كرسيها، حضرت بمتاعهـا، ولم تجرؤ مدام فلوش على طردها، وعندئذ رحلت أنا .

- من المؤسف أنك تخليت عن « كازيمير » بهذه الطريقة .

– هذا جائز، ولكن مكانى ليس إلى جوار هذه المخلوقة . . . لقد فاتنى أنك كنت تدافع عنها .

– وقد أدافع عنها أيضا لو كان ثمة مجال لذلك، يا سيدى الخورى .

– كما تحب . نعم، نعم، فالآنسة فيردور أيضا كانت تدافع عنها، ولقد ظلت تدافع عنها حتى رأت سيديها على فراش الموت .

وراقنى أن القس قد تـخلى تقريبا عن ذلك التـأنق فى اللفظ الذى كـان يتوخـاه فى الكارفورش، فـقـد أصبح يسـتخـدم من الإيماءات والألفاظ ما يميز خوريا فى قرية نورماندية، واستأنف حديثه قائلا :

– وهى أيضـا وجـدت أن من الغـريب أن يموت الاثنان فى وقت واحد .

– هل . . ؟

– أنا لا أزعم شيئا .

ونفخ شفته العليا كعادته القديمة، ولكنه عاد يقول :

– لا يمنع أنهم فى البلدة بدءوا يتندرون، وسؤوهـم أن ترث الفتاة خالتها، وقد رأيت بنفسك أن الآنسة فيردور قد آثرت الرحيل .

– ومن بقى إلى جوار كازيمير .

– آه ! لقد أدركت مع كل أن أمه لا تصلح له مـعشرا حسنا ! إنه يقى كل وقته عند آل « شوانتروى » أقصد البستانى وزوجه .

– « جراسيان » ؟

- أجل . « جراسيان »، الذى عارض فى تحطيم أشجار الحديقة، إلا أنه لم يستطع أن يمنع شيئا . إنها المأساة .

- ومع كل، فلم يكن آل فلوش معدمين .

- ولكن كل شئ سلب منذ أول يوم، ياسيدى العزيز . لقد كانت مدام فلوش تمتلك مزرعتين من المزارع الثلاث التى تتألف منها الكارفورش فبيعت هاتان المزرعتان منذ زمن بعيد للمزارعين، أما المزرعة الثالثة فهى أيضا من أملاك البارونة، ولكنها لم تعد تؤجرها للفلاحين، فقد كان « جراسيان » يشرف على محصولها، ولكنها سرعان ما ستعرض للبيع مع الباقى .

- الكارفورش ستعرض للبيع ؟

- بالمزاد، ولكن هذا لن يتم قبل نهاية الصيف، وصدقنى أن الآنسة تستفيد من هذا الوضع حتى يحين البيع، وستبذل فى سبيل ذلك قصارى وسعها، فعندما يتم نزع نصف الأشجار .

- وكيف يتقدم أحد لشرائها منها، وهى لا تملك حق بيعها ؟

- آه ! إنك لا تزال شابا حدث السن . عندما تعرض السلعة بثمن زهيد، فإنها دائما تجد من يشتريها .

- إن أقل محضر يمكن أن يحول دون ذلك .

- إن المحضر متفاهم مع مدير أعمال الدائنين الذى أقام فى الكارفورش .

– ومـال على أذنى : ومـا دمت تريد أن تعلم كل شئ فـاعلم أنه ينام معها . فسألته، دون أن أظهر تأثرا لعبارته الأخيرة :

– وكتب السيد فلواش وأوراقه ؟

– سيعـرض أثاث القصر مع المكتبة للبـيع قريبا، أو بمعنى أصح، سيـوقع عليها الحـجز، ولحسن الحظ فـإن أحدا لا يدرك قيـمة بعض المؤلفات والا لاختفت منذ زمن بعيد .

– قد يظهر أفّاق على حين فجأة .

– لقد وضعت الأخـتام الآن، فلا تخش شيـئا، فلن تُرفع إلاّ عند الجرد .

– وما قول البارونة فى هذا كله ؟

– إنها لا تدرك شيئا، فهم يقدمـون لها الطعام فى حجرتها، وهى لا تعرف حتى أن ابنتها موجودة فى القصر .

– وماذا عن البارون ؟

– لقد مات منذ ثلاث أسابيع، فى « كاين » فى ملجأ كنا قد وفقنا فى أن يقبل فيه .

كنا قد بلغنا « بون ليـفيك »، فأقبل كاهن للقـاء القس « سانتال » الذى استأذن منى بعد أن دلنى على فندق ورجل يؤجر العربات .

وأوصلتنى العـربة التى استـأجرتهـا فى اليوم التـالى حتى مـدخل حديقـة الكارفورش، واتفـقت مع صاحب العربة علــى أن يرجع بعد

ساعـتين ليعود بى . بعـد أن تكون الجيـاد قد استـراحت فى حظيرة إحدى المزارع .

وألقيت باب الحديـقة مفتوحـا على سعته، وكـانت أرض الممر قد تلفت بفـعل عربات النقل، وتـوقعت أن أشـاهد أبشع مظهر للدمـار والتخريب، ففوجئت، وكـانت مفاجأة سارة، إذ شاهدت عند المدخل « شجرة الزان ذات أوراق الخوخ » وقد نبتت براعكها، ولم أفكر أنها لا تدين بحياتهـا إلاّ لحقارة خشابها، وبينمـا كنت أتقدم، وجدت أن الفأس قـد أتت على أجمل الأشـجار، وقبل أن أخـوض فى جوانب الحديـقة، أردت أن أزور الدار الصـغيـرة التى اكتـشفت فـيها رسـالة إيزابيـل، ولكننـى وجدت مكـان مزلاجها المحطـم قفــلا مغلقـا . ( وعلمت فـيـمـا بعـد أن الحطابين يكـدسـون فى هذه الدار أدواتهم وملابسـهم ) ومضيت فى طريقى متـجها إلى القصـر، وكان الطريق الذى أسلكه مسـتقيما تحف به أشـجار العوسج المنخفـضة، ولم يكد يؤدى إلى وجهة القصر، وإنما كان يفضى إلى جناح المرافق وينتهى إلى المطبخ الذى كان يطل على باب بستان الخضراوات، وكنت لم أزل بعد بعيدا عن ذلك البـاب عندما شاهدت جراسيان يخـرج منه حاملا سلة من الخـضروات، فلمـحنى، ولكنه لم يتـعـرف على من أول وهلة، فناديته فأقبل نحوى وبادرنى قائلا :

– آه ! السيد لاكاز ! حقا ما كان أحد يتوقع أن يراك فى مثل هذه السـاعة . ولـبث يتطلع إلى وهو يهـز رأسـه، لم يخف ضيـقـه من حضورى، إلا أنه أضاف فى لهجة أكثر رقة .

- ومع كل فسيسر الغلام لرؤيتك .

كنا قد سرنا بضع خطوات نحو المطبخ دون كلام، فأشار لى بأن أنتظره، ودخل ليضع سلته، ثم عاد وقال فى لهجة أكثر حفاوة :

- جت إذن لترى سير الأمور فى الكارفورش .

- ويبدو أنها ليست على خير ما يرام ؟

ونظرت إليه فإذا بذقنه يرتجف - ولبث ممسكا عن الإجابة، وعلى حين فجأة جذبنى من ذراعى واقتادنى إلى العشب الذى كان يمتد أمام درج حجرة الاستقبال، حيث كانت ترقد جثة شجرة زان ضخمة أذكر أننى احتميت تحتها من المطر فى الخريف، وكان من حولها أكداس وحزم من أغصانها كانت قد نزعت عنها قبل اقتلاعها . فقال لى :

- هل تعلم كم تساوى شجرة كهذه ؟ اثنتى عشرة بستولة [1] وهل تعلم بكم بيعت ؟ لقد بيعت هى وأمثالها بمائة « سو » .

لم أكن أعلم أنهم فى تلك البلدة يطلقون لفظة بستولة على قطعة النقود فئة العشرة فرنكات، ولكن لم يكن ذلك وقت الاستفسار والاستيضاح . كان جراسيان يتكلم بصوت مخنوق، والتفت إليه فإذا به يمرر ظهر يده على وجهه فيمسح دموعا أو عرقا، ثم ضم قبضتيه وقال :

(١) البستولة تساوى مائتى « سو » .

-أوه ! يااللصوص ! يااللصوص . . عندما أسمعهم يضربون بسواطيرهم وفؤوسهم أشعر بالجنون، إن ضرباتهم تنهال فوق أو رأسى، فأشعر بالرغبة فى أن أصبح : النجدة ! اللص ! إننى أشعر بالرغبة فى القتل، وأول أمس أمضيت نصف النهار داخل القبو، فكان الصوت يصلنى ضعيفا . . وفى بادئ الأمر، وجد الغلام فى عمل الحطابين شيئا من اللهو والتسلية، وعندما كانت الشجرة تشرف على السقوط، كانوا ينادونه ليشد الحبل معهم، ولكن عندما اقترب هؤلاء الأفاقون من القصر وهم يواصلون اقتلاع الأشجار، بدأ الطفل يشعر بأن الأمر لم يعد مدعاة للتسلية، وإذا به يخاطبهم قائلا : « آه ! دعوا تلك » فقلت له : يا صغيرى المسكين، حتى لو تركوها فلن تكون لك هى أو غيرها « بل لقد أخبرته بأنه لن يستطيع البقاء فى الكارفورش، ولكنه صغير لا يفهم أنهم سلبوه كل شىء. لو أبقونا فى المزرعة لما توانيت عن أخذه معنا هناك، ولكن أحدا لا يدرى من سيشتريها، ومن سيكون الوغد الذى سيحتل مكاننا فيها . . وكما ترى يا سيدى فأنا بعد لست عجوزا، ولكننى كنت أفضل أن أموت قبل أن أرى هذا كله .

- من يقيم فى القصر الآن ؟

إننى لا أريد أن أعرف ذلك . إن الصغير يتناول طعامه معنا فى المطبخ، فهذا خير له .

والبارونة لم تعد تفارق حجرتها، وهذا لحسن حظها المسكينة « ديلفين » هى التى تحمل إليها وجباتها عن طريق سلم الخدم حتى

تتجنب مقابلة من لا تحب ، أما الآخرون فلديهم من يقوم على خدمتهم ونحن لا نتحدث معهم .

- أليس من المفروض أن يوقع حجز على الأثاث فى القريب ؟

- عندئذ سنحاول أن نصطحب سيدتى البارونة إلى المزرعة، فى انتظار أن تعرض للبيع مع القصر .

فسألته مترددا لأننى لم أكن أدرى كيف أدعوها :

- والآنسة . . وابنتها ؟

- بوسعها أن تذهب حيث شاءت، بعيدا عنا . إن كل ما يحدث إنما هو بسببها .

كان صوته يرتجف من شدة الغضب بحيث أدركت عندئذ كيف أن هذا الرجل استطاع أن يذهب إلى حد ارتكاب الجريمة للذود عن شرف سادته .

- أهى الان فى القصر ؟

- فى مثل هذه الساعة، لابدّ وأنها تتنزه فى الحديقة، ويبدو أن ما يحدث لا يسوؤها، فهى تتطلع إلى الحطابين، بل وفى بعض الأيام تتحدث معهم، بلا حياء ولكن عندما تمطر السماء فإنها لا تفارق حجرتها . انظر، ها هى حجرتها، تلك التى تمثل الزاوية . إنها تقف لصق زجاج النافذة وتتطلع إلى الحديقة . لو لم يكن رجلها فى «ليزبو» منذ ربع ساعة، لما وجدتنى فى الخارج ! آه ! هذه هى المدنية

يا سيد لاكاز . لو قدر لسادتى المساكين أن يعودوا ليروا ما يحدث فى عقر دارهم، لأسرعوا بالعودة إلى مثواهم .

- وهل كازيمير هنا ؟

- أظن أنه يتنزه أيضا فى الحديقة . هل تريد أن أستدعيه ؟

- كلا، سأعرف كيف أعثر عليه بنفسى . إلى اللقاء قريبا . سأعود لرؤيتك طبعا أنت « وديلفين » قبل أن أرحل .

كان الدمار الذى أحدثه الحطابون يبدو فى أبشع صورة فى ذلك الوقت من العام، حيث يتهيأ كل شيء يبعث من جديد، وفى ذلك الجو الفاتر، كانت أفنان الأشجار تمتلئ وتنتفخ وتنبت فيها البراعم، وكان كل غصن فصل عن شجرته يبكى عصارته . كنت أتقدم فى خطى وئيدة وأنا مكتئب من نفسى، وكان يزيد من اكتئابى ما كان يبعثه المنظر حولى من ألم، وربما كنت ثملا من شدة الأريج النباتى الذى كان يخرج من الشجر المحتضر، وبطن الأرض وهى تعمل، وكان ما يمثله ذلك التعارض بين تلك الأشلاء من الموتى وبين الربيع الوليد لا يكاد يؤثر فى نفسى، وهكذا تكشفت الحديقة وفتحت ذراعيها للنور الذى يدا يغمرها ويصبغ ما فيها من موت وحياة بلونه الذهبى، ومع ذلك فقد كانت دقات قلبى السعيدة تصاحب النغمات الحزينة التى كانت تأتينى من بعيد صادرة عن الفؤوس التى كان صداها الجنائزى يملأ الأرجاء، وكانت الرسالة القديمة التى حملتها معى والتى آليت على نفسى ألا أستفيد منها، مع أننى فى بعض الأحيان كنت أضمها إلى قلبى، كانت هذه الرسالة تلهب قلبى وتضرم فيه النار، وكنت

أحـدث نفسى قـائلا : لا شئ يسـتطيع أن يعتـرض اليـوم سبـيلى، وابتسمت عندما شعـرت أننى أسرع الخطى لمجرد التفكير فى « إيزابيل »، ولم أكن فى ذلك مدفـوعا بإرادتى، وإنما كانت هناك قـوة داخلية تدفعنى إلى ذلك .

وعجبت أن ما فى الدمار من وحشية قد زاد بهاء الطبيعة فى عينى ، وعجـبت كيف أن اغتـياب القس أو ذمة لإيزابيل لـم ينجح فى عزلى عنها ، وأن كل ما كنـت أكتشـفه فـيهـا يلهب شوقى إليها . . وماذا يا ترى لا يزال يربطها بهذه الأماكن التى تفيض « ذكريات » بغيضة ؟ كنت أعرف أنه مـا من شىء سيتبـقى لها من الكارفورش عندمـا تباع ولن يبلغها منهـا عائد، فلماذا لم تلذ بالفرار ؟ وصـور لى خيالى أن أقوم باختطافها ذلك المساء فى عربتى، فأسرعت خطاى، بل لقد كنت أجرى تقريبا عندمـا فوجئت بها على بعد مسـافة منى . كانت هى، بلا ريب، فى ثياب الحـداد عارية الرأس، جالسـة فوق جذع شـجرة محطمة تعترض الممر، فدق قلبى شديدا بحيث اضطررت إلى التوقف بعض الوقت، ثم تقـدمـت فى اتجاههـا بـطئ الخطو، هادئـا كمتنزه لا يعبأ لشىء ، وما أن بلغتها حتى سألتها :

- معذرة ياسيدتى . . أنا الآن فى الكارفورش، أليس كذلك ؟

- كان يوجـد إلى جوارها فـوق جذع الشـجرة سلة لشـغل الإبرة مليـئة ببكرات الخـيط وأدوات الحيـاكـة، وقطع من القمـاش الكريب ملفوفة على بعضها أو منكوشة، وكانت منصرفة إلى تثبيت أجزاء من هذا القماش فوق غطاء متواضع للرأس مصنوع من اللباد كانت تمسكه

بيدها، ورأيت على الزرض شريطا أخضر يبدو أنها نزعته عن غطاء الرأس منذ قليل، وكانت تتدثر بمعطف صغير أسود يغطى كتفيها، وعندما رفعت هامتها أبصرت الإبزيم المبتذل الذى كانت تغلق به ياقة المعطف - ولا أشك فى أنها قد لمحتنى من بعيد، لأن صوتى لم يفاجئها .

- هل جئت تشترى الضيعة ؟

قالتها بصوتها الذى تعرفت عليه، فدق له قلبى .

كم كان جبينها المكشوف جميلا !

- أوه ! بل جئت مجرد زائر . كانت الأبواب الحديدية مفتوحة ورأيت أناسا يجولون ولكننى قد أكون متطفلا إذ دخلت ؟

- كل من يريد الدخول، يستطيع أن يدخل الآن .

وأطلقت زفرة عميقة، لكنها عادت إلى عملها، كأنما لم يعد بيننا ما يقال .

ولما لم أكن أدرى كيف أواصل حديثا قد يكون الوحيد بينى وبينها، فكان يجب أن يكون قاطعا باتا، حديثا بدا لى أن الوقت لم يحن بعد للخوض فيه، فقد كنت أنوى أن أحتاط له قبل طرقه، ولما كان عقلى وعاطفتى قد فاضا بالانتظار والأسئلة التى كنت لا أجرؤ بعد توجيهها، عندئذ مكثت أمامها، أدفع بطرف عصاى شظايا الخشب وأنا مرتبك بين قحة شديدة وسذاجة مفرطة، فى نفس الوقت، حتى أنها رفعت بصرها وتفرست فى وجهى فظننت أنها

ستنفجر ضاحكة، إلا أنها قالت لى بكل بساطة، وربما لأننى كنت ألبس قبعة رخيصة أعطى بها شعرى الطويل، ولم يكن يبدو أن ثمة عملا فعليا يستعجلنى.

- هل أنت فنان؟

فأجبت مبتسما.

- للأسف، كلا! ولكننى رغم ذلك أتذوق الشعر.

ودون أن أجرؤ على التطلع إليها، شعرت أن نظرتها تطوقنى، وأن ما دار بيننا من حديث منافق مبتذل بغيض إلى نفسى، وأننى أتألم إذ أنقله، لقد استأنفت حديثى قائلا:

- كم هى جميلة هذه الحديقة!

ولاح لى أنها لا تريد إلا أن تتحدث، ولم يكن يحيرها مثلى، إلا كيف الخوض فى المناقشة، فقد صرحت بأننى لا أستطيع الان للأسف أن أتصور ما يمكن أن تصبح عليه الحديقة فى فصل الخريف، فهى لا تزال بمنأى عن الشتاء وبرده، كذلك لا أستطيع أن أتنبأ بما سيتبقى منها بعد هذا العمل الرهيب الذى ينزله بها الحصابون، فصحت قائلا:

- ألا يمكن منعهم؟

فردت ساخرة وهى ترفع كتفيها عاليا:

- منعهم!

وظننت أنها ترينى قبعتها البائسة من اللباد كشاهد عى رقة حالها، إلا أنها رفعتها لتضعها فوق رأسها مطروحة إلى الوراء كاشفة عن جبينها، ثم شرعت فى ترتيب قطع القماش الكريب كأنما تتهيأ للإنصراف، فانحنيت عند قدميها والتقطت الشريط الأخضر وقدمته لها.

فقالت دون أن تأخذه:

- ماذا أصنع به الآن؟ إنك ترى أننى فى ثياب الحداد.

وعلى الفور، عبرت لها عن الحزن الذى شعرت به عندما علمت بوفاة السيد فلوش وزوجه ووفاة البارون بعد ذلك، ولما أبدت دهشتها لمعرفتى أهلها، أخبرتها أننى عشت بينهم اثنى عشر يوما من شهر أكتوبر الماضى.

فعقبت فى الحال قائلة:

- فلماذا زعمت منذ قليل أنك لا تعرف أين أنت؟

- لم أكن أدرى كيف أبدأ الحديث معك.

ودون أن أسرف فى الكشف لها عما فى نفسى، شرعت أحدثها عن الفضول الشديد الذى استبقانى فى الكارفورش يوما بعد يوم، أملا فى لقائها (لأننى لم أحدثها عن تلك الليلة التى تطفلت عليها فيها) ثم حدثتها عن أسفى لعودتى إلى باريس دون أن أراها:

- وما مبعث كل هذه الرغبة فى معرفتى؟

ولم تعد تتظاهر بالانصراف، وكنت قد جذبت حزمة ضخمة من الخشب وضعتها أمامها قريبا منها، وجلست عليها، ولما كان وضعى منخفضا عنها، كنت أرفع بصرى لأراها، وكانت هى منصرفة بطريقة صبيانية إلى لف شرائط الكريب فلم أعد أحظى بنظرتها، وحدثتها عن صورتها وأبديت قلقى لما يمكن أن تصير إليه هذه الصورة التى كنت بها مغرما، ولكنها لم تدرِ من أمر ذلك شيئا، وأضافت وهى تطلق ضحكة تألمت لجفافها :

– ربما يعثرون عليها عندما يرفعون الأختام. . ثم تعرض للبيع مع غيرها، وتستطيع أن تحصل عليها نظير بضعة نقود، إذا كان قلبك لا يزال متعلقا بها. وأعربت لها عن أسفى إذ أراها لا تأخذ شعورى نحوها مأخذ الجد، وأوضحت لها أننى إذا كنت قد فاجأتها بالتعبير عنه، فرنه يشغل بالى منذ أمد طويل. إلا أنها ظلت جامدة كأنما قررت ألا تسمع بعد ذلك شيئا منى. كان الوقت يمضى سريعا ألم يكن معى ما أقطع به صمتها ؟ كانت الرسالة الملتهبة تنتفض بين أصابعى.

وكنت قد أعددت قصة اختلقتها عن علاقات قديمة بين عائلتى وعائلة "جونفريفيل" هادفا من وراء ذلك إلى حملها على الكلام فى معرض الحديث، ولكننى فى تلك اللحظة لم أشعر إلا بسخافة هذه الكذبة، وشرعت أروى لها قصة المصادفة الغريبة التى أوقعت هذه الرسالة فى يدى، وناولتها الرسالة قائلا:

– آه! أتوسل إليك ياسيدتى، لا تمزقى هذه الرسالة! رديها إلى. .

كان وجهها قد شحب شحوب الأموات، ولبثت لحظة دون أن تقرأ الرسالة المفتوحة فوق ركبتيها، وغامت نظرتها، ورجفت أهدابها، وإذا بها تهمهم قائلة:

- نسيت أن أستردها! كيف نسيتها؟

- ربما ظننت أنها وصلته، أو أنه حضر لأخذها..

كانت لا تزال منصرفة عنى لا تعيرنى سمعا، وأتيت حركة لاسترداد الرسالة، ولكنها أساءت تفسير حركتى، فصاحت بى قائلة وهى تدفع يدى فى خشونة.

- دعنى!

ونهضت تريد الفرار، فجثوت أمامها أستبقيها:

- لا تخافى منى ياسيدتى، فإننى، كما تريدن، لا أريد بك سوءا، وعندما عادت إلى الجلوس أو بالأحرى عندما انهارت خائرة القوى، توسلت إليها ألا تسخط على أن كانت المصادفة قد اختارتنى لأكون أمينا لسرها على الرغم منى، ولكننى توسلت إليها أن تبقى على هذه الثقة التى أقسمت ألا أخونها ما حييت. آه! لماذا لا تحدثنى كصديق حميم لا يعرف من أمرها إلا ما أطلعتنى عليه بنفسها؟ وربما قنعتها عبراتى التى ذرفتها أكثر مما أقنعها حديثى. وعدت أقول: وا أسفاه! إننى أعلم الميتة الفظيعة التى سلبتك حبيبك فى تلك الليلة.. ولكن كيف بلغك هذا الخبر المشئوم؟ وماذا صور لك خيالك فى تلك الليلة وأنت عاكفة على انتظاره، مستعدة للفرار معه؟ وماذا صنعت عندما

وجدت أنه لا يظهر؟

فقالت فى صوت حزين:

- مادمت تحيط علما بكل شىء، فأنت تعرف طبعا أننى لم أكن أنتظره، بعد أن أخبرت جراسيان.

وفجأة تجلت الحقيقة فى أبشع صورها، بحيث لم أستطع أن أمسك نفسى عن الصياح:

- ماذا؟ أنت التى أوعزت بقتله؟

عندئذ هوت منها الرسالة والسلة على الأرض، وتناثر ما كان فيها من أشياء وأخذت جبينها بين يديها، وشرعت تجهش بالبكاء فى غير وعى، فملت عليها وحاولت أن أتناول إحدى يديها بين يدى فصدتنى قائلة:

- كلا، أنت جاحد قاس.

كانت صيحتى الهوجاء قد أتت على اطمئنانها من ناحيتى، فقطبت جبينها وعبست فى وجهى، وكنت لا أزال جالسا أمامها وقد عقدت العزم على ألا أفارقها قبل أن تصرح لى بأكثر مما عرفت، وأخيرا هدأ نشيجها، فأقنعتها فى هدوء أنها أفاضت فى الكلام بحيث لا تتطيع أن تمسك عنه دون إيداء، وأنها لو أفضت لى باعتراف صادق، فلن يقلل ذلك من شأنها فى نظرى، وأنه لا يحز فى نفسى أكثر من لزومها الصمت، فأسندت مرفقيها على ركبتيها، وحجبت جبينها بيديها المشبوكتين، وقصت على الآتى:

كانت قد كتبت هذه الرسالة فى الليلة السابقة لليلة التى قررت فيها الهروب، كتبـتها فى غمار لوعة الغـرام التى تملكتها تلك الليلة، وفى الصبـاح حملتها إلى الدار ودسـتها فى ذلك المكان السـرى الذى كان يعرفه "بليز جونفريفيل" وكـانت تعلم أنه سرعان ما سيأتى لأخذها، ولكنها ما أن عادت إلى القصر، ووجدت نفسها فى تلك الحجرة التى كـانت تريد أن تغادرها إلى الأبد، تملـكها ضـيق يرقى عن الوصف، وخوف من تلك الحرية المجهولة التى طالما تلهفت عليها، والخوف من ذلك العاشق الذى كـانت لا تزال تتوق إليه، والخوف من نفسـها ومما كانت تخـشى الإقدام عليه. أجـل، كانت قد اتخـذت قرارها، أجل وصرفت عنها كل ريبة أو شك، وارتضت أن تجـرع العار، ولكنها ما أن وجدت أنه ليس هناك ما يقـيدها ويحول بينها وبين البـاب المفتوح للفرار، ضعـفت ولم يطاوعها قلبها، وباتت فكرة الفرار بـغيضة إلى نفـسهـا لا تطيـقـها، فـأسـرعت وأبلغت "جـراسـيان" أن البـارون "جونفـريفيل" قـد عقد الـعزم على اختطافـها من أهلهـا هذه الليلة نفسها، وأنه قد يعثر عليه وهو يحوم قبل المساء على مقربة من الدار، فيجب منعـه من الاقتراب، فعجـبت لأنها لم تذهب لتحضر بنفـسها الرسالة وتسـتبدلها بغيـرها تصد بها عشـيقها عن مشـروعه الجنونى، ولكنها كـانت لا تفتأ تتــهرب من أسئلتى، وجـعلت تردد وهى تبكى أنها تعلم تماما أننى لا يمكن أن أفهمهـا وأنها لا تستطيع أن تفسر خيرا من ذلك، ولكنها فـى ذلك الوقت كانت تشعـر أنها عاجـزة عن صد عشيقها عاجزة عن اللحاق به، فقد كان الخوف قد شل حركتها بحيث أصبح رجوعها إلى الدار أمرا فـوق طاقتها، أضف إلى ذلك، أنها فى

تلك الساعة من النهار، كان أبواها الرهيبان يراقبانها، ولهذا فإنها اضطرت للجوء إلى « جراسيان » .

- أكان بوسعى أن أقدر أن « جراسيان » سيأخذ مأخذ الجد ذلك الكلام الذى فلت منى فى غمرة هذيانى ؟ لقد تصورت أنه سيكتفى بإبعاده، ولقد انتفضت فزعا عندما سمعت بعد ساعة طلقا ناريا قرب الباب الحديدى، إلا أن تفكيرى تحول عن الاحتمال الرهيب الذى لم أقبل أن أتصوره، بل على العكس، فبعد أن أخبرت « جراسيان » هدأ فكرى وقلبى وأصبحت أشعر بالابتهاج . . ولكن عندما حل الليل، واقتربت الساعة التى كان من المفروض أن تكون موعدا لفرارى، آه ! وجدتنى أنتظر على الرغم منى، وبدأ الأمل يداعبنى، ويمتزج بيأسى نوع من الاطمئنان، الاطمئنان الذى كنت أعلم تماما أنه كاذب . لم أكن أستطيع أن أتصور أن جبن لحظة أو انهيار ساعة يمكن أن يقضى دفعة واحدة على حلمى الطويل، فلم أكن بعد قد أفقت من حلمى، وإذا بى، وكأننى فى حلم، أنزل إلى الحديقة أرصد كل صوت، وأترصد كل شبح، فقد كنت لا أزال أنتظر .

وشرعت تبكى من جديد، ثم استطردت تقول :

- كلا لم أعد أنتظر، بل كنت أحاول خداع نفسى، فكنت أتشبه بمن تنتظر شفقة بنفسى . كنت قد جلست أمام الخضرة، فوق أسفل درجات الشرفة، وقد يبس القلب بحيث لم أكن أقوى على ذرف دمعة، ووجدتنى أفكر فى شىء، بل لا أدرى حتى من أكون، ولا أين كنت، ولا ما جئت من أجله، وغاب القمر الذى كان منذ قليل يغمر

بنوره، فانتابتنى رعدة، فتمنيت أن تكون رعدة الموت . طلع النهار، فإذا بى فريسة مرض خطير، واستدعى الطبيب كاشف أمى بأمر حملى .

وتوقفت لحظات، ثم عادت تقول :

- لقد عرفت الآن ما كنت ترغب فى معرفته، ولو أتممت قصتى فستجدها قصة امرأة أخرى غير « إيزابيل » التى طالعتها فى الصورة .

وبالفعل، فقد أصبح من العسير على أن أتعرف فيها على تلك الإنسانة التى سلبت خيالى . صحيح أنها كانت تقطع حديثها من آن لآن بالأنين والشكوى حاملة على القدر، وكانت تشكو من أن الشِّعر والعاطفة دائما على خطأ فى هذا العالم، إلا إننى كنت أشعر بالأسف لأننى لم أتبين فى صوتها الحزين تلك الحرارة اللطيفة التى تصدر عن القلب . لا آسف إلا عليها ! عجبا ! أو هكذا تصورتْ الحب ؟

وإذا بى ألتقط الأشياء التى تناثرت من السلة المنقلبة فوق الأرض، ولم أعد أشعر برغبة فى زيادة الاستفسار، ووجدتنى فجأة لا أكترث بشخصيتها ولا بحياتها، ومكثت أمامها أشبه بغلام أمام لعبة حطمها ليكشف عن سرها، بل إن الفتنة الجسدية التى كانت لا تزال تتمتع بها، لم تحرك منى ساكنا، ولا خفق أهدابها المثير الذى كنت منذ قليل أنتفض له أهاجنى . كنا نتحدث عن رقة حالها وعوزها، فسألتها عما تنوى عمله فأجابت :

- سأسعى إلى إعطاء دروس خصوصية فى العزف، أو الغناء، فلدى طريقة عظيمة .

- آه ! أنت تغنين ؟

- أجل، وأعزف . لقد درست كثيرا فيما مضى، وكنت تلميذة « لتاليبيرج » وكذلك فإني أحب الشعر كثيرا .

ولما لم أجد ما أقوله لها، أضافت تقول :

- إننى على ثقة من أنك تحفظ بعض الشعر عن ظهر قلب ! ألا تحب أن تسمعنى شيئا منه ؟

إلا أن النفور، والاشمئزاز من هذا الابتذال الشعرى كان قد أنجز على طرد كل أثر للحب من نفسى، فنهضت لاستأذنها فى الانصراف فقالت :

- عجبا ! أتنصرف بهذه السرعة ؟

- للأسف ! إنك مثلى تشعرين أن من الأفضل الان أن أنصرف . تصورى أننى ذات يوم من أيام الخريف الماضى، كنت بين قومك ، وإذا بحرارة الجو فى الكارفورش تجعلنى أستسلم للنوم وأرى فى منامى حلما لم أستيقظ منه إلا منذ لحظة ، فوداعا .

وظهر عند طرف الممر المنعطف شيء صغير يعرج .

- أظن أنى ألمح « كاريمير » الذى يسير للقائى .

- إنه قادم، فانتظر .

كان الغلام يقترب فى وثبات قصيرة، وكان يحمل فوق كتفه مجرافا .

- اسمحى لى أن أذهب للقائه، فقد يحرج إن لقينى معك . معذرة . .

وعجلت بوداعى بطريقة خرقاء، فحييتها فى أدب وانصرفت .

ولم أر إيزابيل سانت أوريول بعد ذلك، ولم أعلم عنها شيئا . بلى، فعندما عدت إلى الكارفورش فى الخريف التالى، أخبرنى « جراسيان » بأنها هربت مع حوذى، وذلك عشية الحجز على أثاث القصر، وبعد أن هجرها مدير الأعمال .

- ثم أضاف كمن يلقى حكمة :

- وكما ترى ياسيدى « لاكاز »، لم تستطع أن تبقى وحدها، كان لابد لها دائما من عاشق .

وبيعت مكتبة الكارفورش فى منتصف الصيف، وعلى الرغم من التعليمات للإشراف أوصيت بها، لم أعلم بذلك، وأعتقد أن صاحب مكتبة « كان » الذى ندب للإشراف على عملية البيع، لم يهتم بدعوتى كما لم يهتم بدعوة أى من هواة الكتب الجادين، وكم كان اندهاشى وسخطى عندما علمت فيما بعد أن نسخة التوراة الشهيرة قد بيعت بسبعين فرنكا لبائع كتب قديمة فى البلدة، ثم سرعان ما باعها هذا بثلاثمائة فرنك، ولم أعرف المشترى الجديد .

أما عن مخطوطات القرن السابع عشر، فلم يأت ذكرها حتى فى كشف المبيعات، واعتبرت أوراقا قديمة .

كنت أريد على الأقل أن أحضر عملية بيع الأثاث، فقد كنت أنوى أن أشترى بعض الأشـياء الصغيـرة لتكون ذكرى لآل فلوش، ولكننى أخطـرت بـعـد فـوات الوقت، فـلـم أتمكن من الوصــول إلى « بون ليفيك » إلا عندما عرضت المزارع والضيعة للبيع .

وحصل على الكارفورش، مقابل ثمن بخس، تاجر عقارات يدعى « موزرشـميدت » الـذى كان ينوى تحويل الحـديقة إلى مـرعى عندما اشتراها منه أحد الهواة الأمريكيين، ولم أدر سبب شرائه لها، لأنه لم يعد إلى البلدة وترك القصر والحديقة على الحل التى رأيتماها .

ولما كنت عندئذ قليل الثروة، تصورت أننى لن أحضـر عملية البيع إلا مشاهدا ولكننى فى صباح ذلـك اليوم كنت قد رأيت « كازيمير »، وبينما كنت أسمع المزايدات، تملكنى ضـيق شديد وأنا أفكر فى مأساة هذا الغـلام، بحيث قررت فـجأة أن أومن له حـياته فى المزرعـة التى يتمنى « جراسيان » أن يقيم فيها . ألم تكونا على علم بأننى أصبحت لها مالكا ؟ ودون أن أقدر ما أنا مقدم عليه، وجدتنى أرفع المزاد، كان هذا جنونا منى، ولكن بهجة الغـلام التى كانت تبعث الأسى، كانت لى أعظم مكافأة .

وذهبت إلى هذه المزرعة لقضاء عطلة عـيد الفصح وعطلة الصيف التالى، وذلك عند جـراسيان، حيـث كان يقيم « كازيمـير »، وكانت مدام سانت أوريول العـجوز لا تزال على قيد الحيـاة، وكنا قد حاولنا قدر استطاعتنا أن نترك لها أحسن حجرة، وكانت من فرط تقدم سنها وما مر بها من أحداث قد رجـعت إلى عهد الطفولة، ولكنها مع ذلك

تعرفت عليّ، بل إنهـا لم تكن قد نسـيت اسمى تماما، فـعندما رأتنى جعلت تردد فى بادئ الأمر :

- ما ألطف هذا يا سيد « لاس كاز » ما ألطف هذا منك !

فقد كانت تعتقد أننى ما جئت إلى البلدة إلا لزيارتها .

وقالت مـطمئنة لى كـأنما توضح لى أسبـاب ما آلت إليـه من رقة حال، أو كانت تحاول أن توضحه لنفسها :

- إنهم يقومون ببعـض الإصلاحات فى القصر، وسيصـبح جميلا للغاية !

ويوم أن عرض الأثاث للبيع، كانوا قد أخرجوها إلى شرفة حجرة الاستقبال، فى كرسيها الكبير ذى المسند، وقدموا لها المُحضر على أنه مهندس مـعمـارى شهيـر حضر خـصيـصا من باريس ليـشرف على الأعمال التى ستـنفذ ( كانت تصدق بسهولة كل مـا كان يروقها ) ثم قام « جراسـيان » و « كازيمير » و « ديلفين » بنقلهـا إلى تلك الحجرة التى قُضى عليـها ألا تفارقها، مع أنـها ظلت تعيش فيـها ثلاثة أعوام أخرى .

وخلال ذلك الصيف الأول الذى أمضيـته فى مزرعتى، ثم تعارفى بآل بـ . . الذين تزوجت من ابنتـهم الكبـرى فيـما بعـد ، ولم تكن مـــزرعـة « ر » الـتى آلت إلينا مـنذ وفـاة أهـل زوجـتى بمـنأى عن الكارفورش : وفى كل عام أعود إليها مرتين أو ثلاث مرات، فأتحدث مع جراسيان وكازيمير اللذين يقومان بفـلاحة أرضهما على خير وجه،

ويسددان لى بانتظام قيمة الإيجار المتواضعة، وعندما تركتكما منذ قليل كنت ذهبت إليهما .

كان الليل قد تقدم بنا عندما ختم « جيرار » قصته، إلا أن « جام » فى تلك الليلة نفسها، وقبل أن ينام ، كتب مرثيته الرابعة التى يقول فيها :

« عندما سألتنى أن أنعى تلك الضيعة المهجورة، حيث الرياح العاتية . . .

**تمت**

# المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

# المشروع القومى للترجمة

| | | |
|---|---|---|
| ١ – اللغة العليا (طبعة ثانية) | جون كوين | ت : أحمد درويش |
| ٢ – الوثنية والإسلام | ك. مادهو بانيكار | ت : أحمد فؤاد بلبع |
| ٣ – التراث المسروق | جورج جيمس | ت : شوقى جلال |
| ٤ – كيف تتم كتابة السيناريو | انجا كاريتنكوفا | ت : أحمد الحضرى |
| ٥ – ثريا فى غيبوبة | إسماعيل فصيح | ت : محمد علاء الدين منصور |
| ٦ – اتجاهات البحث اللسانى | ميلكا إفيتش | ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد |
| ٧ – العلوم الإنسانية والفلسفة | لوسيان غولدمان | ت : يوسف الأنطكى |
| ٨ – مشعلو الحرائق | ماكس فريش | ت : مصطفى ماهر |
| ٩ – التغيرات البيئية | أندرو س. جودى | ت : محمود محمد عاشور |
| ١٠ – خطاب الحكاية | جيرار جينيت | ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى |
| ١١ – مختارات | فيسوافا شيمبوريسكا | ت : هناء عبد الفتاح |
| ١٢ – طريق الحرير | ديفيد براونيستون وايرين فرانك | ت : أحمد محمود |
| ١٣ – ديانة الساميين | روبرتسن سميث | ت : عبد الوهاب علوب |
| ١٤ – التحليل النفسى والأدب | جان بيلمان نويل | ت : حسن المودن |
| ١٥ – الحركات الفنية | إدوارد لوسى سميث | ت : أشرف رفيق عفيفى |
| ١٦ – أثينة السوداء | مارتن برنال | ت : بإشراف / أحمد عتمان |
| ١٧ – مختارات | فيليب لاركين | ت : محمد مصطفى بدوى |
| ١٨ – الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية | مختارات | ت : طلعت شاهين |
| ١٩ – الأعمال الشعرية الكاملة | چورج سفيريس | ت : نعيم عطية |
| ٢٠ – قصة العلم | ج. ج. كراوثر | ت: يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح |
| ٢١ – خوخة وألف خوخة | صمد بهرنجى | ت : ماجدة العنانى |
| ٢٢ – مذكرات رحالة عن المصريين | جون أنتيس | ت : سيد أحمد على الناصرى |
| ٢٣ – تجلى الجميل | هانز جيورج جادامر | ت : سعيد توفيق |
| ٢٤ – ظلال المستقبل | باتريك بارندر | ت : بكر عباس |
| ٢٥ – مثنوى | مولانا جلال الدين الرومى | ت : إبراهيم الدسوقى شتا |
| ٢٦ – دين مصر العام | محمد حسين هيكل | ت : أحمد محمد حسين هيكل |
| ٢٧ – التنوع البشرى الخلاق | مقالات | ت : نخبة |
| ٢٨ – رسالة فى التسامح | جون لوك | ت : منى أبو سنه |
| ٢٩ – الموت والوجود | جيمس ب. كارس | ت : بدر الديب |
| ٣٠ – الوثنية والإسلام (ط٢) | ك. مادهو بانيكار | ت : أحمد فؤاد بلبع |
| ٣١ – مصادر دراسة التاريخ الإسلامى | جان سوفاجيه – كلود كاين | ت : عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب |
| ٣٢ – الانقراض | ديفيد روس | ت : مصطفى إبراهيم فهمى |
| ٣٣ – التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية | أ. ج. هوبكنز | ت : أحمد فؤاد بلبع |
| ٣٤ – الرواية العربية | روجر آلن | ت : حصة إبراهيم المنيف |
| ٣٥ – الأسطورة والحداثة | بول . ب . ديكسون | ت : خليل كلفت |

| | | |
|---|---|---|
| ٣٦ - نظريات السرد الحديثة | والاس مارتن | ت : حياة جاسم محمد |
| ٣٧ - واحة سيوة وموسيقاها | بريجيت شيفر | ت : جمال عبد الرحيم |
| ٣٨ - نقد الحداثة | آلن تورين | ت : أنور مغيث |
| ٣٩ - الإغريق والحسد | بيتر والكوت | ت : منيرة كروان |
| ٤٠ - قصائد حب | آن سكستون | ت : محمد عيد إبراهيم |
| ٤١ - ما بعد المركزية الأوربية | بيتر جران | ت: عاطف أحمد / إبراهيم فتحي / محمود ماجد |
| ٤٢ - عالم ماك | بنجامين باربر | ت : أحمد محمود |
| ٤٣ - اللهب المزدوج | أوكتافيو پاث | ت : المهدي أخريف |
| ٤٤ - بعد عدة أصياف | ألدوس هكسلي | ت : مارلين تادرس |
| ٤٥ - التراث المغدور | روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين | ت : أحمد محمود |
| ٤٦ - عشرون قصيدة حب | بابلو نيرودا | ت : محمود السيد علي |
| ٤٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (١) | رينيه ويليك | ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد |
| ٤٨ - حضارة مصر الفرعونية | فرانسوا دوما | ت : ماهر جويجاتي |
| ٤٩ - الإسلام في البلقان | هـ . ت . نوريس | ت : عبد الوهاب علوب |
| ٥٠ - ألف ليلة وليلة أو القول الأسير | جمال الدين بن الشيخ | ت: محمد برادة وعثماني الميلود ويوسف الأنطاكي |
| ٥١ - مسار الرواية الإسبانو أمريكية | داريو بيانويبا وخ. م بينياليستي | ت : محمد أبو العطا |
| ٥٢ - العلاج النفسي التدعيمي | بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل | ت : لطفي فطيم وعادل دمرداش |
| ٥٣ - الدراما والتعليم | أ . ف . ألنجتون | ت : مرسي سعد الدين |
| ٥٤ - المفهوم الإغريقي للمسرح | ج . مايكل والتون | ت : محسن مصيلحي |
| ٥٥ - ما وراء العلم | جون بولكنجهوم | ت : علي يوسف علي |
| ٥٦ - الأعمال الشعرية الكاملة (١) | فديريكو غرسية لوركا | ت : محمود علي مكي |
| ٥٧ - الأعمال الشعرية الكاملة (٢) | فديريكو غرسية لوركا | ت : محمود السيد ، ماهر البطوطي |
| ٥٨ - مسرحيتان | فديريكو غرسية لوركا | ت : محمد أبو العطا |
| ٥٩ - المحبرة | كارلوس مونييث | ت : السيد السيد سهيم |
| ٦٠ - التصميم والشكل | جوهانز ايتين | ت : صبري محمد عبد الغني |
| ٦١ - موسوعة علم الإنسان | شارلوت سيمور - سميث | مراجعة وإشراف : محمد الجوهري |
| ٦٢ - لذّة النّص | رولان بارت | ت : محمد خير البقاعي . |
| ٦٣ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (٢) | رينيه ويليك | ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد |
| ٦٤ - برتراند راسل (سيرة حياة) | آلان وود | ت : رمسيس عوض . |
| ٦٥ - في مدح الكسل ومقالات أخرى | برتراند راسل | ت : رمسيس عوض . |
| ٦٦ - خمس مسرحيات أندلسية | أنطونيو جالا | ت : عبد اللطيف عبد الحليم |
| ٦٧ - مختارات | فرناندو بيسوا | ت : المهدي أخريف |
| ٦٨ - نتاشا العجوز وقصص أخرى | فالنتين راسبوتين | ت : أشرف الصباغ |
| ٦٩ - العالم الإسلامي في أوائل القرن العشرين | عبد الرشيد إبراهيم | ت : أحمد فؤاد متولي وهويدا محمد فهمي |
| ٧٠ - ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية | أوخينيو تشانج رودريجث | ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد |
| ٧١ - السيدة لا تصلح إلا للرمي | داريو فو | ت : حسين محمود |

| | | |
|---|---|---|
| ٧٢ – السياسى العجوز | ت . س . إليوت | ت : فؤاد مجلى |
| ٧٣ – نقد استجابة القارئ | جين . ب . توميكنز | ت : حسن ناظم وعلى حاكم |
| ٧٤ – صلاح الدين والمماليك فى مصر | ل . ا . سيمينوفا | ت : حسن بيومى |
| ٧٥ – فن التراجم والسير الذاتية | أندريه موروا | ت : أحمد درويش |
| ٧٦ – جاك لاكان وإغواء التحليل النفسى | مجموعة من الكتاب | ت : عبد المقصود عبد الكريم |
| ٧٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث ج ٢ | رينيه ويليك | ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد |
| ٧٨ – العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية | رونالد روبرتسون | ت : أحمد محمود ونورا أمين |
| ٧٩ – شعرية التأليف | بوريس أوسبنسكى | ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى |
| ٨٠ – بوشكين عند «نافورة الدموع» | ألكسندر بوشكين | ت : مكارم الغمرى |
| ٨١ – الجماعات المتخيلة | بندكت أندرسن | ت : محمد طارق الشرقاوى |
| ٨٢ – مسرح ميجيل | ميجيل دى أوناموتو | ت : محمود السيد على |
| ٨٣ – مختارات | غوتفريد بن | ت : خالد المعالى |
| ٨٤ – موسوعة الأدب والنقد | مجموعة من الكتاب | ت : عبد الحميد شيحة |
| ٨٥ – منصور الحلاج (مسرحية) | صلاح زكى أقطاى | ت : عبد الرازق بركات |
| ٨٦ – طول الليل | جمال مير صادقى | ت : أحمد فتحى يوسف شتا |
| ٨٧ – نون والقلم | جلال آل أحمد | ت : ماجدة العنانى |
| ٨٨ – الابتلاء بالتغرب | جلال آل أحمد | ت : إبراهيم الدسوقى شتا |
| ٨٩ – الطريق الثالث | أنتونى جيدنز | ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين |
| ٩٠ – وسم السيف (قصص) | نخبة من كُتاب أمريكا اللاتينية | ت : محمد إبراهيم مبروك |
| ٩١ – المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق | باربر الاسوستكا | ت : محمد هناء عبد الفتاح |
| ٩٢ – أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر | كارلوس ميجل | ت : نادية جمال الدين |
| ٩٣ – محدثات العولمة | مايك فيذرستون وسكوت لاش | ت : عبد الوهاب علوب |
| ٩٤ – الحب الأول والصحبة | صمويل بيكيت | ت : فوزية العشماوى |
| ٩٥ – مختارات من المسرح الإسبانى | أنطونيو بويرو بابيخو | ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف |
| ٩٦ – ثلاث زنبقات ووردة | قصص مختارة | ت : إدوار الخراط |
| ٩٧ – هوية فرنسا (مج ١) | فرنان برودل | ت : بشير السباعى |
| ٩٨ – الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى | نماذج ومقالات | ت : أشرف الصباغ |
| ٩٩ – تاريخ السينما العالمية | ديفيد روبنسون | ت : إبراهيم قنديل |
| ١٠٠ – مساءلة العولمة | بول هيرست وجراهام تومبسون | ت : إبراهيم فتحى |
| ١٠١ – النص الروائى (تقنيات ومناهج) | بيرنار فاليط | ت : رشيد بنحدو |
| ١٠٢ – السياسة والتسامح | عبد الكريم الخطيبى | ت : عز الدين الكتانى الإدريسى |
| ١٠٣ – قبر ابن عربى يليه آياء | عبد الوهاب المؤدب | ت : محمد بنيس |
| ١٠٤ – أوبرا ماهوجنى | برتولت بريشت | ت : عبد الغفار مكاوى |
| ١٠٥ – مدخل إلى النص الجامع | چيرارچينيت | ت : عبد العزيز شبيل |
| ١٠٦ – الأدب الأندلسى | د. ماريا خيسوس روبييرامتى | ت : أشرف على دعدور |
| ١٠٧ – صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر | نخبة | ت : محمد عبد الله الجعيدى |

| | | |
|---|---|---|
| ١٠٨ – ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى | مجموعة من النقاد | ت : محمود على مكى |
| ١٠٩ – حروب المياه | چون بولوك وعادل درويش | ت : هاشم أحمد محمد |
| ١١٠ – النساء فى العالم النامى | حسنة بيجوم | ت : منى قطان |
| ١١١ – المرأة والجريمة | فرانسيس هيندسون | ت : ريهام حسين إبراهيم |
| ١١٢ – الاحتجاج الهادئ | أرلين علوى ماكليود | ت : إكرام يوسف |
| ١١٣ – راية التمرد | سادى پلانت | ت : أحمد حسان |
| ١١٤ – مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع | وول شوينكا | ت : نسيم مجلى |
| ١١٥ – غرفة تخص المرء وحده | فرچينيا وولف | ت : سمية رمضان |
| ١١٦ – امرأة مختلفة (درية شفيق) | سينثيا نلسون | ت : نهاد أحمد سالم |
| ١١٧ – المرأة والجنوسة فى الإسلام | ليلى أحمد | ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال |
| ١١٨ – النهضة النسائية فى مصر | بث بارون | ت : لميس النقاش |
| ١١٩ – النساء والأسرة وقوانين الطلاق | أميرة الأزهرى سنبل | ت : بإشراف/ رؤوف عباس |
| ١٢٠ – الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط | ليلى أبو لغد | ت : نخبة من المترجمين |
| ١٢١ – الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية | فاطمة موسى | ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال |
| ١٢٢ – نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان | جوزيف فوجت | ت : منيرة كروان |
| ١٢٣ – الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية | نينل الكسندر وفنادوليتا | ت: أنور محمد إبراهيم |
| ١٢٤ – الفجر الكاذب | چون جراى | ت : أحمد فؤاد بلبع |
| ١٢٥ – التحليل الموسيقى | سيدريك ثورپ ديڤى | ت : سمحه الخولى |
| ١٢٦ – فعل القراءة | ڤولفانج إيسر | ت : عبد الوهاب علوب |
| ١٢٧ – إرهاب | صفاء فتحى | ت : بشير السباعى |
| ١٢٨ – الأدب المقارن | سوزان باسنيت | ت : أميرة حسن نويرة |
| ١٢٩ – الرواية الاسبانية المعاصرة | ماريا دولورس أسيس جاروته | ت : محمد أبو العطا وآخرون |
| ١٣٠ – الشرق يصعد ثانية | أندريه جوندر فرانك | ت : شوقى جلال |
| ١٣١ – مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى) | مجموعة من المؤلفين | ت : لويس بقطر |
| ١٣٢ – ثقافة العولمة | مايك فيذرستون | ت : عبد الوهاب علوب |
| ١٣٣ – الخوف من المرايا | طارق على | ت : طلعت الشايب |
| ١٣٤ – تشريح حضارة | بارى ج. كيمب | ت : أحمد محمود |
| ١٣٥ – المختار من نقد ت. س. إليوت (ثلاثة أجزاء) | ت. س. إليوت | ت : ماهر شفيق فريد |
| ١٣٦ – فلاحو الباشا | كينيث كونو | ت : سحر توفيق |
| ١٣٧ – مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية | چوزيف مارى مواريه | ت : كاميليا صبحى |
| ١٣٨ – عالم التليفزيون بين الجمال والعنف | إيڤلينا تارونى | ت : وجيه سمعان عبد المسيح |
| ١٣٩ – پارسيڤال | ريشارد ڤاچنر | ت : مصطفى ماهر |
| ١٤٠ – حيث تلتقى الأنهار | هربرت ميسن | ت : أمل الجبورى |
| ١٤١ – اثنتا عشرة مسرحية يونانية | مجموعة من المؤلفين | ت : نعيم عطية |
| ١٤٢ – الإسكندرية : تاريخ ودليل | أ. م. فورستر | ت : حسن بيومى |
| ١٤٣ – قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى | ديريك لايدار | ت : عدلى السمرى |
| ١٤٤ – صاحبة اللوكاندة | كارلو جولدونى | ت : سلامة محمد سليمان |

| | | |
|---|---|---|
| ١٤٥ – موت أرتيميو كروث | كارلوس فوينتس | ت : أحمد حسان |
| ١٤٦ – الورقة الحمراء | ميجيل دى ليبيس | ت : على عبد الرؤوف البمبى |
| ١٤٧ – خطبة الإدانة الطويلة | تانكريد دورست | ت : عبد الغفار مكاوى |
| ١٤٨ – القصة القصيرة (النظرية والتقنية) | إنريكى أندرسون إمبرت | ت : على إبراهيم على منوفى |
| ١٤٩ – النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس | عاطف فضول | ت : أسامة إسبر |
| ١٥٠ – التجربة الإغريقية | روبرت ج. ليتمان | ت: منيرة كروان |
| ١٥١ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١) | فرنان برودل | ت : بشير السباعى |
| ١٥٢ – عدالة الهنود وقصص أخرى | نخبة من الكُتاب | ت : محمد محمد الخطابى |
| ١٥٣ – غرام الفراعنة | فيولين فانويك | ت : فاطمة عبد الله محمود |
| ١٥٤ – مدرسة فرانكفورت | فيل سليتر | ت : خليل كلفت |
| ١٥٥ – الشعر الأمريكي المعاصر | نخبة من الشعراء | ت : أحمد مرسى |
| ١٥٦ – المدارس الجمالية الكبرى | جى أنبال وآلان وأوديت فيرمو | ت : مى التلمسانى |
| ١٥٧ – خسرو وشيرين | النظامى الكنوجى | ت : عبد العزيز بقوش |
| ١٥٨ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢) | فرنان برودل | ت : بشير السباعى |
| ١٥٩ – الإيديولوجية | ديفيد هوكس | ت : إبراهيم فتحى |
| ١٦٠ – آلة الطبيعة | بول إيرليش | ت : حسين بيومى |
| ١٦١ – من المسرح الإسبانى | اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا | ت : زيدان عبد الحليم زيدان |
| ١٦٢ – تاريخ الكنيسة | يوحنا الآسيوى | ت : صلاح عبد العزيز محجوب |
| ١٦٣ – موسوعة علم الاجتماع ج ١ | جوردون مارشال | ت بإشراف : محمد الجوهرى |
| ١٦٤ – شامبوليون (حياة من نور) | جان لاكوتير | ت : نبيل سعد |
| ١٦٥ – حكايات الثعلب | أ . ن أفانا سيفا | ت : سهير المصادفة |
| ١٦٦ – العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل | يشعياهو ليفمان | ت : محمد محمود أبو غدير |
| ١٦٧ – فى عالم طاغور | رابندرانات طاغور | ت : شكرى محمد عياد |
| ١٦٨ – دراسات فى الأدب والثقافة | مجموعة من المؤلفين | ت : شكرى محمد عياد |
| ١٦٩ – إبداعات أدبية | مجموعة من المبدعين | ت : شكرى محمد عياد |
| ١٧٠ – الطريق | ميغيل دليبيس | ت : بسام ياسين رشيد |
| ١٧١ – وضع حد | فرانك بيجو | ت : هدى حسين |
| ١٧٢ – حجر الشمس | مختارات | ت : محمد محمد الخطابى |
| ١٧٣ – معنى الجمال | ولتر ت . ستيس | ت : إمام عبد الفتاح إمام |
| ١٧٤ – صناعة الثقافة السوداء | ايليس كاشمور | ت : أحمد محمود |
| ١٧٥ – التليفزيون فى الحياة اليومية | لوريتزو فيلشس | ت : وجيه سمعان عبد المسيح |
| ١٧٦ – نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية | توم تيتنبرج | ت : جلال البنا |
| ١٧٧ – أنطون تشيخوف | هنرى ترويا | ت : حصة إبراهيم منيف |
| ١٧٨ – مختارات من الشعر اليونانى الحديث | نخبة من الشعراء | ت : محمد حمدى إبراهيم |
| ١٧٩ – حكايات أيسوب | أيسوب | ت : إمام عبد الفتاح إمام |
| ١٨٠ – قصة جاويد | إسماعيل فصيح | ت : سليم عبدالأمير حمدان |
| ١٨١ – النقد الأدبى الأمريكى | فنسنت . ب . ليتش | ت : محمد يحيى |

| | | |
|---|---|---|
| ١٨٢ - العنف والنبوءة | و . ب . ييتس | ت : ياسين طه حافظ |
| ١٨٣ - جان كوكتو على شاشة السينما | رينيه جيلسون | ت : فتحى العشرى |
| ١٨٤ - القاهرة .. حالمة لا تنام | هانز إبندورفر | ت : دسوقى سعيد |
| ١٨٥ - أسفار العهد القديم | توماس تومسن | ت : عبد الوهاب علوب |
| ١٨٦ - معجم مصطلحات هيجل | ميخائيل أنوود | ت : إمام عبد الفتاح إمام |
| ١٨٧ - الأرضة | بُزُرْج علوى | ت : علاء منصور |
| ١٨٨ - موت الأدب | ألفين كرنان | ت : بدر الديب |
| ١٨٩ - العمى والبصيرة | بول دى مان | ت : سعيد الغانمى |
| ١٩٠ - محاورات كونفوشيوس | كونفوشيوس | ت : محسن سيد فرجانى |
| ١٩١ - الكلام رأسمال | الحاج أبو بكر إمام | ت : مصطفى حجازى السيد |
| ١٩٢ - سياحتنامه إبراهيم بيك | زين العابدين المراغى | ت : محمود سلامة علاوى |
| ١٩٣ - عامل المنجم | بيتر أبراهامز | ت : محمد عبد الواحد محمد |
| ١٩٤ - مختارات من النقد الأنجلو- أمريكى | مجموعة من النقاد | ت : ماهر شفيق فريد |
| ١٩٥ - شتاء ٨٤ | إسماعيل فصيح | ت : محمد علاء الدين منصور |
| ١٩٦ - المهلة الأخيرة | فالنتين راسبوتين | ت : أشرف الصباغ |
| ١٩٧ - الفاروق | شمس العلماء شبلى النعمانى | ت : جلال السعيد الحفناوى |
| ١٩٨ - الاتصال الجماهيرى | إدوين إمرى وآخرون | ت : إبراهيم سلامة إبراهيم |
| ١٩٩ - تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية | يعقوب لانداوى | ت : جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد |
| ٢٠٠ - ضحايا التنمية | جيرمى سيبروك | ت : فخرى لبيب |
| ٢٠١ - الجانب الدينى للفلسفة | جوزايا رويس | ت : أحمد الأنصارى |
| ٢٠٢ - تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٤ | رينيه ويليك | ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد |
| ٢٠٣ - الشعر والشاعرية | ألطاف حسين حالى | ت : جلال السعيد الحفناوى |
| ٢٠٤ - تاريخ نقد العهد القديم | زالمان شازار | ت : أحمد محمود هويدى |
| ٢٠٥ - الجينات والشعوب واللغات | لويجى لوقا كافاللى - سفورزا | ت : أحمد مستجير |
| ٢٠٦ - الهيولية تصنع علماً جديداً | جيمس جلايك | ت : على يوسف على |
| ٢٠٧ - ليل إفريقى | رامون خوتاسندير | ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف |
| ٢٠٨ - شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى | دان أوريان | ت : محمد أحمد صالح |
| ٢٠٩ - السرد والمسرح | مجموعة من المؤلفين | ت : أشرف الصباغ |
| ٢١٠ - مثنويات حكيم سنائى | سنائى الغزنوى | ت : يوسف عبد الفتاح فرج |
| ٢١١ - فردينان دوسوسير | جوناثان كلر | ت : محمود حمدى عبد الغنى |
| ٢١٢ - قصص الأمير مرزبان | مرزبان بن رستم بن شروين | ت : يوسف عبد الفتاح فرج |
| ٢١٣ - مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبد الناصر | ريمون فلاور | ت : سيد أحمد على الناصرى |
| ٢١٤ - قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع | أنتونى جيدنز | ت : محمد محمود محى الدين |
| ٢١٥ - سياحت نامه إبراهيم بيك جـ٢ | زين العابدين المراغى | ت : محمود سلامة علاوى |
| ٢١٦ - جوانب أخرى من حياتهم | مجموعة من المؤلفين | ت : أشرف الصباغ |
| ٢١٧ - مسرحيتان طليعيتان | صمويل بيكيت | ت : نادية البنهاوى |
| ٢١٨ - رايولا | خوليو كورتازار | ت : على إبراهيم على منوفى |

| | | |
|---|---|---|
| ٢١٩ – بقايا اليوم | كازو ايشجورو | ت : طلعت الشايب |
| ٢٢٠ – الهيولية فى الكون | بارى باركر | ت : على يوسف على |
| ٢٢١ – شعرية كفافى | جريجورى جوزدانيس | ت : رفعت سلام |
| ٢٢٢ – فرانز كافكا | رونالد جراى | ت : نسيم مجلى |
| ٢٢٣ – العلم فى مجتمع حر | بول فيرابنر | ت : السيد محمد نفادى |
| ٢٢٤ – دمار يوغسلافيا | برانكا ماجاس | ت : منى عبد الظاهر إبراهيم السيد |
| ٢٢٥ – حكاية غريق | جابرييل جارثيا ماركث | ت : السيد عبد الظاهر عبد الله |
| ٢٢٦ – أرض المساء وقصائد أخرى | ديفيد هربت لورانس | ت : طاهر محمد على البربرى |
| ٢٢٧ – المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر | موسى ماريديا ديف بوركى | ت : السيد عبد الظاهر عبد الله |
| ٢٢٨ – علم الجمالية وعلم اجتماع الفن | جانيت وولف | ت : مارى تيريز عبد المسيح وخالد حسن |
| ٢٢٩ – مأزق البطل الوحيد | نورمان كيمان | ت : أمير إبراهيم العمرى |
| ٢٣٠ – عن الذباب والفئران والبشر | فرانسواز جاكوب | ت : مصطفى إبراهيم فهمى |
| ٢٣١ – الدرافيل | خايمى سالوم بيدال | ت : جمال أحمد عبد الرحمن |
| ٢٣٢ – مابعد المعلومات | توم ستينر | ت : مصطفى إبراهيم فهمى |
| ٢٣٣ – فكرة الاضمحلال | أرثر هيرمان | ت : طلعت الشايب |
| ٢٣٤ – الإسلام فى السودان | ج. سبنسر تريمنجهام | ت : فؤاد محمد عكود |
| ٢٣٥ – ديوان شمس تبريزى ج١ | جلال الدين الرومى | ت : إبراهيم الدسوقى شتا |
| ٢٣٦ – الولاية | ميشيل تود | ت : أحمد الطيب |
| ٢٣٧ – مصر أرض الوادى | روبين فيدين | ت : عنايات حسين طلعت |
| ٢٣٨ – العولمة والتحرير | الانكتاد | ت : ياسر محمد جاد الله وعربى مدبولى أحمد |
| ٢٣٩ – العربى فى الأدب الإسرائيلى | جيلارافر – رابوخ | ت : نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق |
| ٢٤٠ – الإسلام والغرب وإمكانية الحوار | كامى حافظ | ت : صلاح عبد العزيز محمود |
| ٢٤١ – فى انتظار البرابرة | ك. م كويتز | ت : ابتسام عبد الله سعيد |
| ٢٤٢ – سبعة أنماط من الغموض | وليام إمبسون | ت : صبرى محمد حسن عبد النبى |
| ٢٤٣ – تاريخ إسبانيا الإسلامية جـ١ | ليفى بروفنسال | ت : مجموعة من المترجمين |
| ٢٤٤ – الغليان | لاورا إسكيبيل | ت : نادية جمال الدين محمد |
| ٢٤٥ – نساء مقاتلات | إليزابيتا أديس | ت : توفيق على منصور |
| ٢٤٦ – قصص مختارة | جابرييل جرثيا ماركث | ت : على إبراهيم على منوفى |
| ٢٤٧ – الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر | وولتر أرمبرست | ت : محمد الشرقاوى |
| ٢٤٨ – حقول عدن الخضراء | أنطونيو جالا | ت : عبد اللطيف عبد الحليم |
| ٢٤٩ – لغة التمزق | دراجو شتامبوك | ت : رفعت سلام |
| ٢٥٠ – علم اجتماع العلوم | دومنيك فينك | ت : ماجدة أباظة |
| ٢٥١ – موسوعة علم الاجتماع ج ٢ | جوردون مارشال | ت بإشراف : محمد الجوهرى |
| ٢٥٢ – رائدات الحركة النسوية المصرية | مارجو بدران | ت : على بدران |
| ٢٥٣ – تاريخ مصر الفاطمية | ل. أ. سيمينوڤا | ت : حسن بيومى |
| ٢٥٤ – الفلسفة | ديف روبنسون وجودى جروفز | ت : إمام عبد الفتاح إمام |
| ٢٥٥ – أفلاطون | ديف روبنسون وجودى جروفز | ت : إمام عبد الفتاح إمام |

| | | |
|---|---|---|
| ٢٥٦ – ديكارت | ديف روبنسون وجودى جروفز | ت : إمام عبد الفتاح إمام |
| ٢٥٧ – تاريخ الفلسفة الحديثة | وليم كلى رايت | ت : محمود سيد أحمد |
| ٢٥٨ – الغجر | سير أنجوس فريزر | ت : عُبادة كُحيلة |
| ٢٥٩ – مختارات من الشعر الأرمنى | نخبة | ت : ڤاروچان كازانچيان |
| ٢٦٠ – موسوعة علم الاجتماع ج٢ | جوردون مارشال | ت بإشراف : محمد الجوهرى |
| ٢٦١ – رحلة فى فكر زكى نجيب محمود | زكى نجيب محمود | ت : إمام عبد الفتاح إمام |
| ٢٦٢ – مدينة المعجزات | إدوارد مندوثا | ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف |
| ٢٦٣ – الكشف عن حافة الزمن | چون جريبن | ت : على يوسف على |
| ٢٦٤ – إبداعات شعرية مترجمة | هوراس / شلى | ت : لويس عوض |
| ٢٦٥ – روايات مترجمة | أوسكار وايلد وصموئيل جونسون | ت : لويس عوض |
| ٢٦٦ – مدير المدرسة | جلال آل أحمد | ت : عادل عبد المنعم سويلم |
| ٢٦٧ – فن الرواية | ميلان كونديرا | ت : بدر الدين عرودكى |
| ٢٦٨ – ديوان شمس تبريزى ج٢ | جلال الدين الرومى | ت : إبراهيم الدسوقى شتا |
| ٢٦٩ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج١ | وليم چيفور بالجريف | ت : صبرى محمد حسن |
| ٢٧٠ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج٢ | وليم چيفور بالجريف | ت : صبرى محمد حسن |
| ٢٧١ – الحضارة الغربية | توماس سى . باترسون | ت : شوقى جلال |
| ٢٧٢ – الأديرة الأثرية فى مصر | س. س. والترز | ت : إبراهيم سلامة |
| ٢٧٣ – الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط | جوان آر. لوك | ت : عنان الشهاوى |
| ٢٧٤ – السيدة بربارا | رومولو جاليجوس | ت : محمود على مكى |
| ٢٧٥ – ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً | أقلام مختلفة | ت : ماهر شفيق فريد |
| ٢٧٦ – فنون السينما | فرانك جوتيران | ت : عبد القادر التلمسانى |
| ٢٧٧ – الچينات : الصراع من أجل الحياة | بريان فورد | ت : أحمد فوزى |
| ٢٧٨ – البدايات | إسحق عظيموف | ت : ظريف عبد الله |
| ٢٧٩ – الحرب الباردة الثقافية | فرانسيس ستونر سوندرز | ت : طلعت الشايب |
| ٢٨٠ – من الأدب الهندى الحديث والمعاصر | بريم شند وآخرون | ت : سمير عبد الحميد |
| ٢٨١ – الفردوس الأعلى | مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى | ت : جلال الحفناوى |
| ٢٨٢ – طبيعة العلم غير الطبيعية | لويس ولبيرت | ت : سمير حنا صادق |
| ٢٨٣ – السهل يحترق | خوان رولفو | ت : على البمبى |
| ٢٨٤ – هرقل مجنونًا | يوريبيدس | ت : أحمد عتمان |
| ٢٨٥ – رحلة الخواجة حسن نظامى | حسن نظامى | ت : سمير عبد الحميد |
| ٢٨٦ – رحلة إبراهيم بك ج٢ | زين العابدين المراغى | ت : محمود سلامة علاوى |
| ٢٨٧ – الثقافة والعولمة والنظام العالمى | أنتونى كينج | ت : محمد يحيى وآخرون |
| ٢٨٨ – الفن الروائى | ديفيد لودج | ت : ماهر البطوطى |
| ٢٨٩ – ديوان منجوهرى الدامغانى | أبو نجم أحمد بن قوص | ت : محمد نور الدين |
| ٢٩٠ – علم الترجمة واللغة | جورج مونان | ت : أحمد زكريا إبراهيم |
| ٢٩١ – المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج١ | فرانشسكو رويس رامون | ت : السيد عبد الظاهر |
| ٢٩٢ – المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج٢ | فرانشسكو رويس رامون | ت : السيد عبد الظاهر |

| | | |
|---|---|---|
| ٢٩٣ – مقدمة للأدب العربى | روجر آلان | ت : نخبة من المترجمين |
| ٢٩٤ – فن الشعر | بوالو | ت : رجاء ياقوت صالح |
| ٢٩٥ – سلطان الأسطورة | جوزيف كامبل | ت : بدر الدين حب الله الديب |
| ٢٩٦ – مكبث | وليم شكسبير | ت : محمد مصطفى بدوى |
| ٢٩٧ – فن النحو بين اليونانية والسوريانية | ديونيسيوس ثراكس – يوسف الأهوانى | ت : ماجدة محمد أنور |
| ٢٩٨ – مأساة العبيد | أبو بكر تفاوابليوه | ت : مصطفى حجازى السيد |
| ٢٩٩ – ثورة التكنولوجيا الحيوية | جين ل. ماركس | ت : هاشم أحمد فؤاد |
| ٣٠٠ – أسطورة بروميثيوس مج١ | لويس عوض | ت : جمال الجزيرى وبهاء جاهين |
| ٣٠١ – أسطورة بروميثيوس مج٢ | لويس عوض | ت : جمال الجزيرى ومحمد الجندى |
| ٣٠٢ – فتجنشتين | جون هيتون وجودى جروفز | ت : إمام عبد الفتاح إمام |
| ٣٠٣ – بـوذا | جين هوب وبورن فان لون | ت : إمام عبد الفتاح إمام |
| ٣٠٤ – ماركس | ريـوس | ت : إمام عبد الفتاح إمام |
| ٣٠٥ – الجلد | كروزيو مالابارته | ت : صلاح عبد الصبور |
| ٣٠٦ – الحماسة – النقد الكانطى للتاريخ | جان – فرانسوا ليوتار | ت : نبيل سعد |
| ٣٠٧ – الشعور | ديفيد بابينو | ت : محمود محمد أحمد |
| ٣٠٨ – علم الوراثة | ستيف جونز | ت : ممدوح عبد المنعم أحمد |
| ٣٠٩ – الذهن والمخ | انجوس جيلاتى | ت : جمال الجزيرى |
| ٣١٠ – يونج | ناجى هيد | ت : محيى الدين محمد حسن |
| ٣١١ – مقال فى المنهج الفلسفى | كولنجوود | ت : فاطمة إسماعيل |
| ٣١٢ – روح الشعب الأسود | وليم دى بويز | ت : أسعد حليم |
| ٣١٣ – أمثال فلسطينية | خابير بيان | ت : عبد الله الجعيدى |
| ٣١٤ – الفن كعدم | جينس مينيك | ت : هويدا السباعى |
| ٣١٥ – جرامشى فى العالم العربى | ميشيل بروندينو | ت :كاميليا صبحى |
| ٣١٦ – محاكمة سقراط | آ. ف. ستون | ت : نسيم مجلى |
| ٣١٧ – بلا غد | شير لايموفا – زنيكين | ت : أشرف الصباغ |
| ٣١٨ – الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة | نخبة | ت : أشرف الصباغ |
| ٣١٩ – صور دريدا | جايتر ياسبيفاك وكرستوفر نوريس | ت : حسام نايل |
| ٣٢٠ – لمعة السراج لحضرة التاج | مؤلف مجهول | ت : محمد علاء الدين منصور |
| ٣٢١ – تاريخ إسبانيا الإسلامية ج٢ | ليفى برو فنسال | ت : نخبة من المترجمين |
| ٣٢٢ – وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى | دبليو. إيوجين كلينباور | ت : خالد مفلح حمزة |
| ٣٢٣ – فن الساتورا | تراث يونانى قديم | ت : هانم سليمان |
| ٣٢٤ – اللعب بالنار | أشرف أسدى | ت : محمود سلامة علاوى |
| ٣٢٥ – عالم الآثار | فيليب بوسان | ت : كرستين يوسف |
| ٣٢٦ – المعرفة والمصلحة | جورجين هابرماس | ت : حسن صقر |
| ٣٢٧ – مختارات شعرية مترجمة | نخبة | ت : توفيق على منصور |
| ٣٢٨ – يوسف وزليخة | نور الدين عبد الرحمن بن أحمد | ت : عبد العزيز بقوش |
| ٣٢٩ – رسائل عيد الميلاد | تد هيوز | ت : محمد عيد إبراهيم |

| | | |
|---|---|---|
| ٣٣٠ – كل شيء عن التمثيل الصامت | مارفن شيرد | ت : سامى صلاح |
| ٣٣١ – عندما جاء السردين | ستيفن جراى | ت : سامية دياب |
| ٣٣٢ – رحلة شهر العسل وقصص أخرى | نخبة | ت : على إبراهيم على منوفى |
| ٣٣٣ – الإسلام فى بريطانيا | نبيل مطر | ت : بكر عباس |
| ٣٣٤ – لقطات من المستقبل | آرثر س. كلارك | ت . مصطفى فهمى |
| ٣٣٥ – عصر الشك | ناتالى ساروت | ت : فتحى العشرى |
| ٣٣٦ – متون الأهرام | نصوص قديمة | ت : حسن صابر |
| ٣٣٧ – فلسفة الولاء | جوزايا رويس | ت : أحمد الأنصارى |
| ٣٣٨ – نظرات حائرة وقصص أخرى من الهند | نخبة | ت : جلال السعيد الحفناوى |
| ٣٣٩ – تاريخ الأدب فى إيران جـ٣ | على أصغر حكمت | ت : محمد علاء الدين منصور |
| ٣٤٠ – اضطراب فى الشرق الأوسط | بيرش بيربيروجلو | ت : فخرى لبيب |
| ٣٤١ – قصائد من رلكه | راينر ماريا رلكه | ت : حسن حلمى |
| ٣٤٢ – سلامان وأبسال | نور الدين عبد الرحمن بن أحمد | ت : عبد العزيز بقوش |
| ٣٤٣ – العالم البرجوازى الزائل | نادين جورديمر | ت : سمير عبد ربه |
| ٣٤٤ – الموت فى الشمس | بيتر بلانجوه | ت : سمير عبد ربه |
| ٣٤٥ – الركض خلف الزمن | بونه ندائى | ت : يوسف عبد الفتاح فرج |
| ٣٤٦ – سحر مصر | رشاد رشدى | ت : جمال الجزيرى |
| ٣٤٧ – الصبية الطائشون | جان كوكتو | ت : بكر الحلو |
| ٣٤٨ – المتصوفة الأولون فى الأدب التركى جـ١ | محمد فؤاد كوبريلى | ت : عبد الله أحمد إبراهيم |
| ٣٤٩ – دليل القارئ إلى الثقافة الجادة | آرثر والدرون وآخرين | ت : أحمد عمر شاهين |
| ٣٥٠ – بانوراما الحياة السياحية | أقلام مختلفة | ت : عطية شحاتة |
| ٣٥١ – مبادئ المنطق | جوزايا رويس | ت : أحمد الأنصارى |
| ٣٥٢ – قصائد من كفافيس | قسطنطين كفافيس | ت : نعيم عطية |
| ٣٥٣ – الفن الإسلامى فى الأندلس (هندسية) | باسيليو بابون مالدونالد | ت : على إبراهيم على منوفى |
| ٣٥٤ – الفن الإسلامى فى الأندلس (نباتية) | باسيليو بابون مالدونالد | ت : على إبراهيم على منوفى |
| ٣٥٥ – التيارات السياسية فى إيران | حجت مرتضى | ت : محمود سلامة علاوى |
| ٣٥٦ – الميراث المر | بول سالم | ت : بدر الرفاعى |
| ٣٥٧ – متون هيرميس | نصوص قديمة | ت : عمر الفاروق عمر |
| ٣٥٨ – أمثال الهوسا العامية | نخبة | ت : مصطفى حجازى السيد |
| ٣٥٩ – محاورات بارمنيدس | أفلاطون | ت · حبيب الشارونى |
| ٣٦٠ – أنثروبولوجيا اللغة | أندريه جاكوب ونويلا باركان | ت : ليلى الشربينى |
| ٣٦١ – التصحر : التهديد والمجابهة | آلان جرينجر | ت : عاطف معتمد وآمال شاور |
| ٣٦٢ – تلميذ بابنبرج | هاينرش شبورال | ت : سيد أحمد فتح الله |
| ٣٦٣ – حركات التحرر الأفريقى | ريتشارد جيبسون | ت : صبري محمد حسن |
| ٣٦٤ – حداثة شكسبير | إسماعيل سراج الدين | ت : نجلاء أبو عجاج |
| ٣٦٥ – سأم باريس | شارل بودلير | ت : محمد أحمد حمد |
| ٣٦٦ – نساء يركضن مع الذئاب | كلاريسا بنكولا | ت : مصطفى محمود محمد |

| | | |
|---|---|---|
| ٣٦٧ – القلم الجرىء | نخبة | ت . البرّاق عبد الهادى رضا |
| ٣٦٨ – المصطلح السردى | جيرالد برنس | ت : عابد خزندار |
| ٣٦٩ – المرأة فى أدب نجيب محفوظ | فوزية العشماوى | ت : فوزية العشماوى |
| ٣٧٠ – الفن والحياة فى مصر الفرعونية | كليرلا لويت | ت : فاطمة عبد الله محمود |
| ٣٧١ – المتصوفة الأولون فى الأدب التركى جـ٢ | محمد فؤاد كوبريلى | ت : عبد الله أحمد إبراهيم |
| ٣٧٢ – عاش الشباب | وانغ مينغ | ت : وحيد السعيد عبد الحميد |
| ٣٧٣ – كيف تعد رسالة دكتوراه | أمبرتو إيكو | ت : على إبراهيم على منوفى |
| ٣٧٤ – اليوم السادس | أندريه شديد | ت : حمادة إبراهيم |
| ٣٧٥ – الخلود | ميلان كونديرا | ت : خالد أبو اليزيد |
| ٣٧٦ – الغضب وأحلام السنين | نخبة | ت : إدوار الخراط |
| ٣٧٧ – تاريخ الأدب فى إيران جـ٤ | على أصغر حكمت | ت : محمد علاء الدين منصور |
| ٣٧٨ – المسافر | محمد إقبال | ت : يوسف عبد الفتاح فرج |
| ٣٧٩ – ملك فى الحديقة | سنيل باث | ت : جمال عبد الرحمن |
| ٣٨٠ – حديث عن الخسارة | جونتر جراس | ت : شيرين عبد السلام |
| ٣٨١ – أساسيات اللغة | ر. ل. تراسك | ت : رانيا إبراهيم يوسف |
| ٣٨٢ – تاريخ طبرستان | بهاء الدين محمد إسفنديار | ت : أحمد محمد نادى |
| ٣٨٣ – هدية الحجاز | محمد إقبال | ت : سمير عبد الحميد إبراهيم |
| ٣٨٤ – القصص التى يحكيها الأطفال | سوزان إنجيل | ت : إيزابيل كمال |
| ٣٨٥ – مشترى العشق | محمد على بهزادراد | ت : يوسف عبد الفتاح فرج |
| ٣٨٦ – دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى | جانيت تود | ت : ريهام حسين إبراهيم |
| ٣٨٧ – أغنيات وسوناتات | جون دن | ت : بهاء جاهين |
| ٣٨٨ – مواعظ سعدى الشيرازى | سعدى الشيرازى | ت : محمد علاء الدين منصور |
| ٣٨٩ – من الأدب الباكستانى المعاصر | نخبة | ت : سمير عبد الحميد إبراهيم |
| ٣٩٠ – الأرشيفات والمدن الكبرى | نخبة | ت : عثمان مصطفى عثمان |
| ٣٩١ – الحافلة الليلكية | مايف بينشى | ت : منى الدروبى |
| ٣٩٢ – مقامات ورسائل أندلسية | فرناندو دى لاجرانخا | ت : عبد اللطيف عبد الحليم |
| ٣٩٣ – فى قلب الشرق | ندوة لويس ماسينيون | ت : نخبة |
| ٣٩٤ – القوى الأربع الأساسية فى الكون | بول ديفيز | ت : هاشم أحمد محمد |
| ٣٩٥ – آلام سياوش | إسماعيل فصيح | ت : سليم حمدان |
| ٣٩٦ – السافاك | تقى نجارى راد | ت :محمود سلامة علاوى |
| ٣٩٧ – نيتشه | لورانس جين | ت :إمام عبد الفتاح إمام |
| ٣٩٨ – سارتر | فيليب تودى | ت :إمام عبد الفتاح إمام |
| ٣٩٩ – كامى | ديفيد ميروفتس | ت .إمام عبد الفتاح إمام |
| ٤٠٠ – مومو | مشيائيل إنده | ت . باهر الجوهرى |
| ٤٠١ – الرياضيات | زيادون ساردر | ت : ممدوح عبد المنعم |
| ٤٠٢ – هوكنج | ج . ب . ماك ايفوى | ت . ممدوح عبد المنعم |
| ٤٠٣ – رية المطر والملابس تصنع الناس | توبور شتورم | ت : عماد حسن بكر |

| | | |
|---|---|---|
| ٤٠٤ – تعويذة الحسي | ديفيد إبرام | ت : ظبية خميس |
| ٤٠٥ – إيزابيل | أندريه جيد | ت : حمادة إبراهيم |

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٥٨٤٧ / ٢٠٠٢

المجلس الأعلى للثقافة

في أواخر حياة «جيد» بدأ الناس يتحدثون عنه بنوع من التعظيم والتبجيل انعكس على الكاتب الكبير سلبًا، فملأه الغرور الذى يصيب كثيرين من الكُتّاب والفلاسفة حينما يرفضون كل غيب دينى وأية قاعدة لا تفرزها عقولهم، نلمس صدى ذلك فى هذه العبارات على لسان «تيزيه» أحد أبطاله معبرا عن خلاصة تجارب «جيد» فى حياته الطويلة: «لقد أقمت مدينتى، ومن بعدى سيسكنها فكرى مخلداً إلى الأبد، وأنا أشعر بالرضا لأنى أطرق باب الموت وحيداً، فقد تمتعت بخيرات الأرض، ويطيب لى أن أتصور أن الناس من بعدى وبفضلى سيكونون أسعد حالاً، وأفضل وضعًا، وأكثر حريةً، ومن أجل خير الأجيال البشرية القادمة، قمت بعملى؛ لقد عشت حياتى».

أما عن «إيزابيل» فهى من أكثر كتابات «جيد» اعتدالا فإذا كان «جيد» يهاجم التزمت البغيض عند رجل الدين والرقابة الشديدة التى فرضها الوالدان على الفتاة، فإنه يؤيد «إيزابيل» فى إسرافها فى الانطلاق والتحرر من كل قيد

Bibliotheca Alexandrina
0680505